الدكتور عثمان سعدي

الأصول العربية للبربر

منشورات الطليعة 1988

الأصول العربية للأمازيغ

كانت التوجيهات تصدر للمؤسسات الثقافية الفرنسية بإبراز أصل البربر الأروبي في دورياتها ومنشوراتها. ولهذا فإننا نجد الموسوعات الفرنسية التي نشرت قبل استقلال الجزائر، تضرب على النغمة الاستعمارية كموسوعة (كيبي Quillet) مثلا، التي ورد فيها عشرة أسطر عن البربر في المادة المخصصة لهم، مبتورة، يحس القارئ من بين أسطرها أن محررها غير مقتنع بما يقول. وأرى أن أعرض للقارئ الكريم ما ورد في هذه الموسوعة.

«إن البربر ليسوا ساميين مثل العرب.. وبأنهم سبقوا العرب على هذه الأرض (أي شمال إفريقيا)، وبأنهم ينسبون عرقيا إلى السكان الذين يعيشون في أروبا.

وواضح من هذا النص أن الكاتب صدرت إليه تعليمات بأن يقول هذا فقاله. والتعليمات تتمثل في إبراز أربعة عناصر:

1 – أن البربر ليسوا ساميين.

2 – أن البرير لا يرتبطون بأية صلة بالعرب.

3 – أن البربر سبقوا العرب إلى شمال إفريقيا.

4 – أن البربر من أصل أروبي.

وواضح من تحليل النص أنه مهلهل، تجنب محرره غير المؤمن به تعزيزه بأي نص تاريخي، أو أية اكتشافات أثرية علمية.

نبدأ بعلم الحفريات عن الجماجم البشرية، فقد اكتشفت أربع جماجم: الأولى في الجزائر والثانية في ليبيا والثالثة في اليمن والرابعة في فلسطين. ووجد بين هذه الجماجم الأربع تطابق كامل. وعمرها ما يقرب من خمسين ألف سنة.

يقول الأستاذ الدكتور رشيد الناضوري في كتابه "المغرب الكبير" مايلي:

«وفيما يتعلق بإنسان العصر الحجري القديم الأوسط في المغرب، فقد عثر على فك إنسان ينتمي إلى هذه المرحلة في كهف (هوافتيح) غرب (درنة). وقد

استخدم الكربون المشع 14 في اختبار عمر الفحم الخشبي الذي وجد في مواقد هذا الموقع والمنتمية لهذه المرحلة، وقد أعطى سنة 43000 ق. م كتاريخ له، وقد ثبت من الدراسات المقارنة تشابه هذا الإنسان مع إنسان (نياندرتال) في فلسطين. كما أن هذا التشابه أيضا يمكن ملاحظته في الصناعة الحجرية المنتمية لهذه المرحلة، مما يؤيد وجود نوع من الصلات الحضارية والبشرية بين جنوب غربي آسيا، وجنوب شرقي ليبيا.. ويتجه العلماء إلى اعتبار إنسان "مشتة العربي" الذي اكتشفت جمجمته بالجزائر متشابها مع إنسان "نياندرتال"»[1].

يتبين من النص السابق أن علم الجماجم أثبت بالدليل العلمي التشابه بين إنسان شرقي ليبيا وإنسان الجزائر وإنسان نيادرتال في فلسطين، مما يدل على أصلهم الواحد. وحيث أن الهجرات كانت تتم من الشرق إلى الغرب، وبما أن علماء السلالات يثبتون علميا أن مصدر هجرات حوض البحر المتوسط هي شبه الجزيرة العربية، فإن الاحتمال الأرجح بل المؤكد أن البربر قبائل قدمت من شبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب، عبر صحراء سيناء ومصر، واستوطنت شمال إفريقيا، في هجرات متتالية سابقة للهجرة الإسلامية، ويعود تاريخ أقدمها إلى ما قبل خمسين ألف عام.

البربر والساميون: أي العرب القدامى

يغلّب كثير من المؤرخين أن الساميين والحاميين سلالة واحدة، وأنه لا وجود لسلالتين منفصلتين، وأن المهد الأصلي للسلالة (الحامية - السامية) كان الجزيرة العربية وقرن إفريقيا، حيث يعتبران امتدادا جغرافيا واحدا.

يقول الأستاذ عبد الرحمان باغي في كتابه حياة القيروان:

«فريق من المؤرخين يرون أن أصل الحاميين والساميين واحد، وأن مهدهم الأصلي كان شرق إفريقيا.. وعلماء الجيولوجيا يعتبرون الجزيرة

(1) المغرب الكبير، ج1 ص 62، تأليف الدكتور رشيد الناضوري، أستاذ التاريخ بجامعة الاسكندرية.

العربية امتدادا طبيعيا لإفريقيا، ليس يفصلها عنها سوى منبطح وادي النيل ومنخفض البحر الأحمر»[1].

ويذهب معظم المؤرخين إلى القول بأن مصادر الهجرة البشرية ثلاثة:

1 – أواسط آسيا بالنسبة لشرق آسيا وأستراليا وشمال أروبا.

2 – شبه الجزيرة العربية بالنسبة لحوض البحر المتوسط وجنوب إفريقيا ووادي النيل.

3 – أمريكا (مصدر هجرتها غير محدد ومعروف).

إذن فشبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب هما مصدر هجرة البربر الرئيسي إلى بلدان شمال إفريقيا. يقول الأستاذ عبد الرحمن باغي: «فليس لنا بد من أن نتمثل ما يذكره العلماء من أن الجزيرة العربية كانت في حقبة من الحقب مصدرا يوزع على العالم ثروة بشرية»[2].

ويورد محررو مادة (بربر) في موسوعة "أونيفير ساليس Universalis"، وهي أول موسوعة فرنسية، تحرر بعد استقلال الجزائر – فقد نشرت سنة 1968 – وتقر نسبة البربر إلى العرب، أصلا ولغة.. ورد في الموسوعة ما يلي:

«أكثر طريق إلى الحقيقة إعادة البربرية إلى أصول حامية سامية التي تجمع في بوتقة واحدة البربرية، والمصرية القديمة، والكوشية، والسامية»[3].

ومحررو الموسوعة نفسها يقرون بأنه «لا يوجد رأس أو جنس بربري مستقل بذاته. إن الناطقين بالبربرية يمثلون عدة أنواع عرقية (إتنية).. ولم تتحقق أية دراسة تعتمد على أنواع الدم، فهوية البربر إذن لم تحدد على مقاييس عرقية»[4]. وتعترف نفس الموسوعة بأن البربر لا تعود أصولهم إلى أصل غربي، وإنما ينحدرون من "أصل شرقي"[5].

---

(1) حياة القيروان للأستاذ عبد الرحمن باغي، ص 13.

(2) نفس المصدر السابق.

(3) Encyclopaedia Universalis م 3، ص 172.

(4) نفس المصدر السابق، ص 170.

(5) نفس المصدر السابق.

وينكر المؤرخ العراقي أحمد سوسة تسمية "السامية" ويرى استبدالها باصطلاح "عربية"، يقول:

«إنها تسمية أطلقت على بعض الشعوب التي زعم أنها انحدرت من صلب سام بن نوح، وكان أول من أطلقها بهذا المعنى العالم النمساوي (شلوتزر Chlotzer) عام 1781م للميلاد، فشاعت منذ ذلك الحين، وأصبحت عند علماء الغرب علما لهذه المجموعة من الشعوب، وسرت إلى المؤرخين العرب، على الرغم من أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخي، أو إلى أسس علمية عنصرية صحيحية، أو وجهة نظر لغوية، لذلك يرى بعض الاختصاصيين وجوب تسمية هذه الأقوام بالأقوام العربية لتشمل كل من سكن الجزيرة العربية وخرج منها، لأن العرب والساميين شيء واحد»[1].

ويقول أحمد سوسة أيضا: «يتضح مما تقدّم أن الحضارة التي سميت بالسامية خطأ إنما هي حضارة عربية، ومصدر طاقتها البشرية جزيرة العرب لا غيرها»[2].

ويتفق مع الدكتور سوسة الدكتور جواد علي -المؤرخ العراقي- فيقول: «ولعلي لا أكون مخطئا أو مبالغا، إذا قلت إن الوقت قد حان لاستبدال مصطلح (سامي) و(سامية) بـ (عربي) و(عربية)»[3].

ويتفق مع الدكتور أحمد سوسة أيضا المؤرخ الفرنسي (بيير روسيه P. Rossi) حيث يقول: «إن التسمية السامية خالية من كل معنى، لدرجة أن (الموسوعة الإسلامية) نفسها -التي نسبت العرب للساميين- لا تفرد لكلمة (سامية) مادة في فهرست موادها.. إن كلمة سامية لا أثر لها في المعجم اليوناني ولا في المعجم اللاتيني.. وهي لم تظهر للوجود إلا في نهاية القرن الثامن عشر على يد العلامة

---

(1) حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، للدكتور أحمد سوسة، ص 19، بغداد 1979.
(2) نفس المرجع السابق، ص 30.
(3) تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، ج1.

النمساوي (شلوتزر Shlotzer)، الذي ابتكر اصطلاح (سامي) في كتابه المعنون (جدول الأدب التوراتي والشرقي»[1].

كما يؤكد المؤرخ الفرنسي أيضا بأن التسمية الحقيقية (للساميين) هي العرب.

«كل شيء يمكن أن يكون بسيطا لو أننا بدل أن نتحدث عن الساميين -الأبطال الوهميين- نتحدث عن العرب، عن الشعب الذي وجد في الواقع، له كيان اجتماعي وثقافي ولغوي دائم، الشعب الذي منح الحياة والتوازن للبحر المتوسط منذ آلاف السنين».

«والآثار هنا شاهدة على ذلك، تؤكد أن حضارتنا (نحن الأوروبيين) ولدت وترعرعت في المنطقة الممتدة بين نهري النيل والهندوس، وبين القوقاز ومضيق باب المندب، فأربع أمم أقامت إمبراطورية على امتداد زمني طويل وهي: المصريون، والسوريون - الكنعانيون، واليونانيون - الحيثيون، والبابليون»[2].

وحيث أن التسمية السامية لا أساس لها تاريخيا، وفق ما يرى الكثير من المؤرخين، وحيث أن هؤلاء المؤرخين ينكرون أيضا وجود عرق اسمه العرق (الحامي)، وأن الساميين والحاميين أمر واحد، فالتسمية الصحيحة للبربر إذن هي العرب، وخاصة وأن المؤرخين يتفقون على أن تسمية (البربر) لا تعتمد على أي أساس علمي، كما سنرى في هذا البحث.

---

(1) La cite d'Isis. Histoire vraie des Arabes. (Nouvelles Editions latines. Paris 1976). Pierre Rossi
- مدينة إيزيس. تاريخ حقيقي للعرب. ص 12.
(2) المرجع السابق. ص 18.

الهجرات العربية السابقة للإسلام:

يرى الأستاذ غوتييه (Gautier) المؤرخ الفرنسي المشهور، أن موجات الهجرات السامية العربية القديمة إلى المغرب تمّت عن طريق مصر. يقول: «لم يعد بعيدا عن الاحتمال أن موجات الهجرة نحو المغرب سلكت طرقا أخرى غير طريق مصر»[1].

فعلم دراسة الجماجم القديمة، ودراسة جذور السلالات، أثبت بأن البربر لا يؤلفون جنسا مستقلا بذاته، وإنما قدموا من الشرق، وبالذات من الجزيرة العربية والهلال الخصيب. فقسم من العمالقة الذين سكنوا بلاد الشام هاجر إلى المغرب، وساهم في تكوين التجمع السكاني الذي عرف بالبربر. يقول المؤرخ العربي أبو جعفر الطبري.

«وعمليق وهم العمالقة ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مأرب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح. ما خلا صنهاجة وكتامة، فإنما هم بنو فريقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ»[2].

ويستمر الطبري في إثبات أن البربر هاجروا من بلاد جنوب الجزيرة العربية عبر الشام، فيقول:

«وزعم هشام بن محمد الكلبي أن إفريقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، همّ متوجها إلى إفريقيا فاحتملهم حتى سواحل الشام حتى أتى بهم إفريقيا، فافتتحها وقتل ملكها جرجرا، وأسكنها البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام»[3].

---

(1) Le Passe de l'Afrique du Nord. E.F. Gautier. p23.

(2) تاريخ الطبري، ج1، ص 207.

(3) نفس المرجع، ص 442.

إذن فالمؤرخ العربي الطبري يثبت في كتابه المعروف أن البربر هاجروا على عدة موجات ضاربة في القدم، ويحدد الهجرات التي تمت من بلاد الشام إلى المغرب فيذكر أنها جاءت من قبائل الكنعانيين ثم من قبائل العمالقة.

وينقل الطبري «أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق وغيرهم»[1].

ويؤكد رأي الطبري المؤرخ المغربي شهاب الدين السلاوي فيقول:

«ومن هذه الأقوال يتضح الاتصال بين (الساميين والحاميين)، وكيف يميل النسابة العرب إلى أنهم كانوا معاشر تنازعوا وانفصلوا، وذهب منهم جمع إلى شمال إفريقيا. وبقي كثير منهم في فلسطين في أرض الشام إلى زمن داود. وقد كان يحكمهم ملكهم جالوت. ولما قتل داود جالوت أجلوا من بلاد كنعان وفلسطين إلى أرض المغرب ولحقوا بمن سبقهم»[2].

إذن فالسلاوي يتفق مع الطبري ومع كثير من المؤرخين بأن هجرات سحيقة في القدم من عهد الملك داود، تمت من الشرق العربي الآسيوي نحو شمال إفريقيا.

ويورد السلاوي أيضا بأن هجرات أخرى متعددة تمت من اليمن إلى شمال إفريقيا بالإضافة إلى هجرات بلاد الشام، يقول:

«فقد غزتهم (أي سكان المغرب) ملوك اليمن من قراهم مرارا، وذكر الكلبي أن حمير أبا القبائل اليمنية ملك المغرب مائة سنة»[3].

وعندما يتكلم ابن خلدون عن إفريقيش يقول:

«هو إفريقيش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجس وبنى المدن والأمصار»[4].

---

(1) حياة القيروان للأستاذ عبد الرحمن باغي، ص 16.

(2) الاستقصاء للسلاوي، ج1.

(3) الاستقصاء للسلاوي، ج1.

(4) تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 176.

بل إن ابن خلدون يذهب إلى أن البربر هم بقايا القبائل القديمة التي كانت تسكن فلسطين والتي انقرضت باستثناء البربر يقول:

«وكان بين بني فلسطين هؤلاء وبين بني إسرائيل حروب كثيرة، وكان بالشام كثير من البربر إخوانهم، ومن سائر أولاد كنعان يضاهونهم فيها، ودثرت أمة فلسطين وكنعان وشعوبها لهذا العهد، ولم يبق إلا البربر»[1].

بل ويذهب المؤرخ الأمريكي (وليم لانغر W. Langer) في تاريخه: «موسوعة تاريخ العالم» إلى تفنيد فكرة هجرة البربر من أروبا، أي الهجرة من الشمال إلى الجنوب، ويقر مع جميع مؤرخي الهجرات البشرية إلى أن الهجرة في حوض البحر المتوسط تمت من جنوبه إلى شماله وليس العكس، لأنه في الوقت الذي كانت فيه أروبا كتلة من الجليد لا حياة فيها لا حيوانية ولا بشرية، كان شمال إفريقيا مأهولا بالبشر، يقول الأستاذ لانغر:

«وانتشر فرع من عناصر البحر المتوسط والصحراء، الطويلة الرؤوس وأقاربهم من العرب والبربر وغيرهم في جنوب أروبا وشمال إفريقيا والشرق الأدنى»[2].

إذن فالمؤرخ (لانغر Langer) يعتبر البربر والعرب تجمعا سكانيا واحدا، عمّر مناطق الشرق الأدنى وشمال إفريقيا وجنوب أروبا. ويوضح المؤرخ لانغر رأيه هنا فيقول:

«وإذن فقد كان الاتجاه العام للحركة الحضارية من الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب، ولهذا كانت المناطق الجنوبية والشرقية في أي وقت مضى تتمتع بحضارات أكثر رقيا من حضارات المناطق الهامشية في الشمال الغربي»[3].

---

(1) تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 176.

(2) موسوعة العالم لوليام لانغر، ج1، ص 25 - 26 (الترجمة العربية).

(3) المرجع السابق، ص 32.

إذن فالمؤرخون الأروبيون، النزيهون طبعا، يقرون بأصول البربر العربية (السامية) المشرقية. ويقرون بأن سكان جنوب أروبا أنفسهم بحضارتهم اليونانية والرومانية يعودون إلى أصول عربية مشرقية، وهو تفنيد واضح من مؤرخين أروبيين غير مغرضين مثل العلامة (لانغر Langer) والمؤرخ الفرنسي (بيير روسيه P. Rossi)، لآراء أولئك المؤرخين المنظرين للاستعمار الغربي، والذين تتلمذ عليهم دعاة النزعة البربرية الجزائريون والمغاربة السطحيون.

ويذهب (بيير روسيه P. Rossi) بعيدا، فيرى أن اللغة الآرامية هي أم اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية، فيقول:

«وكانت هنالك لغة واحدة منطوقة ومكتوبة فرضت أخيرا نفسها، وعمت هذه المنطقة الواسعة ألا وهي اللغة الآرامية التي تعتبر اليونانية الفرع الغربي لها، ولقد تطورت الآرامية بوتيرة طبيعية وبدون صدام إلى اللغة العربية التي ورثت ماضي المصرية، والكنعانية، والحيثية، والبابلية. هذا هو المقياس الحقيقي للثقافة العربية التي تعتبر الأم والملهم للهيلينية التي صاغتها في روحها وقوانينها»[1].

ويرى المؤرخ الفرنسي أن الآلهة اليونانية كانت منحدرة من الآلهة العربية، «فعشتار صارت فينوس الرومانية فيما بعد»[2].

والثقافة العربية عند المؤرخ الفرنسي المذكور أم الثقافات الغربية والشرقية يقول: **«عندما نؤكد بأن الشرق محدد بواسطة الثقافة العربية، في مجال عربي، فإننا لا نبتكر شيئا من عندنا.. ولو أن اليونان لم يتكون في الثقافة العربية لما ظهر البتة أرسطو إلى الوجود.. إن روما أسست في بوتقة الثقافة العربية.. لابد أن نحدد العروبة كثقافة وحيدة للشرق، وأن نراجع ما لقنّا في المدارس عن الشرق واليونان.. إن اليونان لم يكن سوى شرفة أو ملحق للبناء العربي بالشرق،**

---

(1) La cite d'Isis. vraie histoire des Arabes. P. Rossi. مدينة إيريس، تاريخ حقيقي للعرب.

(2) المرجع السابق، ص 24.

واليونانيون يعترفون بذلك. إن أصول الحضارتين القريطية والقبرصية القديمتين مصرية كنعانية»[1]. أما عن الحضارة الفارسية فيقول (روسيه P. Rossi):

«في حوالي 500 سنة قبل الميلاد، كتب بالآرامية داريوس - إمبراطور فارس الذي هزمه الإسكندر الأكبر - القوانين المصرية ونشرها في إمبراطوريته»[2].

ويفسّر (روسيه P. Rossi) نجاح عبور الإسكندر الأكبر التاريخي إلى انتماء هذا الأخير واليونان إلى الثقافة العربية، يقول:

«إن الوقت قد حان لكي نفسّر لماذا لم يلاق عبور الإسكندر الأكبر صعوبات أمامه، ولماذا كانت اللغة والسياسة والإدارة اليونانية آسيوية بعمق، أي (سامية) إذا لجأنا إلى هذا الاصطلاح السخيف»[3].

ويعيد الأصول العربية لهذه الثقافات إلى فترات قديمة جدا، يقول:

«منذ القرن السابع قبل الميلاد صارت اللغة الكنعانية تحمل اسم (الكوينية)، أي اللغة المشتركة للمنطقة الممتدة من النيل وحتى الهندوس، وهو المجال العربي، ثم صار حوض البحر المتوسط مزدوج اللغة: اليونانية كلغة ثانية بالميدان الأدبي، والآرامية استمرت كلغة أولى..»[4]. وكما أوضحنا من قبل فقد أكّد ما قاله روسيه كاتب بريطاني في سنة 1991، وهو ويليام برنال.

وإذا استعرضنا العلاقة التي كانت بين البربر وقدماء المصريين، وجدنا أنها ذات أخذ وعطاء بالنسبة لمسار الهجرات البشرية. فبعض المؤرخين يرون بأن أول حضارة نشأت في منطقة الشرق الأدنى والأوسط وحوض البحر المتوسط كانت على ضفاف بحيرات كانت تنتشر في الصحراء الكبرى الجزائرية، وعندما جفت هذه البحيرات وعمّ القحط هرب هؤلاء السكان من الجفاف، وانتشروا

(1) المرجع السابق، صفحات: 29 - 30 - 32 - 33.
(2) المرجع السابق، صفحات: 40 - 51 - 57.
(3) المرجع السابق.
(4) المرجع السابق.

قاف.عين

في هذه المنطقة وبالعالم ، ويسمى هذا الرأس الأصلي للبشرية "الرأس الليبي البربري". بل إن مؤرخا كغوتييه يرى أن أول من سكن حوض النيل[1] جاء من منطقة الصحراء الكبرى. ويحتمل إذا اعتمدنا على هذا الرأي الذي لا زال حتى الآن مجرد احتمال -بأن يكون أصل سكان هذه المنطقة الواسعة، من الصحراء الكبرى، هاجروا من ضفاف بحيراتها، ثم استوطنوا في شبه الجزيرة العربية وبين النهرين والنيل عشرات القرون أو مئات القرون، ثم عادوا ضمن هجرات ليعمروا شمال إفريقيا وجنوب إفريقيا إثر ذوبان الجليد منها.

ويؤكد المؤرخون أن الأسرتين المصريتين الفرعونيتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين كانتا بربريتين، وهما من الأسر الكبيرة التي حكمت مصر القديمة. وهذا يعتبر دليلا واضحا على التفاعل الموجود بين البربر وقدماء المصريين.

وكما سبق أن بيّنا، فإن الهجرات من الجزيرة العربية نحو شمال إفريقيا وحوض البحر المتوسط وجنوب أروبا، تمت خلال الخمسين ألف سنة الماضية، وخاصة إثر دورة الجليد المعروفة لدى المؤرخين باسم (فرم Warm 3) قبل العشرين ألف سنة الأخيرة، عندما بدأ الجفاف يعم الجزيرة العربية، والجليد يذوب من أروبا وحوض البحر المتوسط، يقول أحمد سوسة: «كما يتضح أن العالم يجتاز اليوم الدورة الدفيئة الثالثة التي بدأت في أعقاب دورة الجليد (فرم Warm 3)، كانت أروبا مغطاة بالجليد، في حين كانت الجزيرة العربية تتمتع بجو معتدل رطب، تكثر فيه الأمطار في كل المواسم، مما ساعد في هذه الفترة على الأخذ بالزراعة التي تعتمد على الري، ونمو الغابات الكثيفة في المنطقة. ولما دخلت الدورة الدفيئة الثالثة عادت أروبا إلى حالتها الطبيعية التي كانت عليها في الدورة الدفيئة السابقة، وانقلبت أرض الجزيرة العربية إلى صحاري، تاركة في جوفها طبقات نفطية متكونة من بقايا غاباتها بتأثير الضغط عليها»[2].

---

(1) Le passe de l'Afrique du Nord. E.F. Gautier. p23.

(2) حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، للدكتور أحمد سوسة، ص 62 – 63.

وهذا هو رأي الكثير من المؤرخين، فتوينبي، وجايلد «يريان أن عامل الجفاف الذي حلّ في أعقاب العصر الجليدي، كان حافزا في قيام الهجرات المتواصلة من جزيرة العرب، وبالتالي نشوء الحضارات المهمة في وادي النيل ووادي الرافدين»[1].

البربر والفينيقيون:

ويؤكد الأستاذ (غوتييه E.F. Gautier) «بأن التأثير الفينيقي بالمغرب دام ما يقرب من ألف سنة، ولم يسجل لنا التاريخ سوى القرن الأخير من الوجود الفينيقي، أن القرن الذي انهارت فيه إمبراطورية قرطاج. أما القرون التسعة الأخرى فقد بقيت غامضة تاريخيا»[2].

ويؤكد المؤرخون بأن البربر تفاعلوا مع الفينيقيين واندمجوا فيهم أكثر من تفاعلهم مع الرومان والبيزنطيين، لأن الطرفين من أصل واحد. هاجروا من مصدر هجرة واحد، ويعترف بذلك حتى المؤرخون الأروبيون، النزهاء طبعا، يقول الأستاذ جوستاف لوبون: «إن البربر قبل الفتح العربي كانوا يعبدون آلهة قرطاجنة كفورزيل وماسيمان. ويروى عن (تيرتوليان Tertulien) (وهو كاتب فيلسوف مشهور من فلاسفة الكنيسة، ولد بالشرق الجزائري وتخرّج من الجامعة الرومانية المشهورة التي كانت تقع في موقع القرية الجزائرية مداوروش)، أن البربر كانوا يضحون ببعض الأولاد تقربا إلى إله الزمن كيوان، وكانوا يعبدون النار أيضا»[3].

إذن فـ (تيرتوليان Tertulien) فيلسوف الكنيسة الذي عاش في القرن الثالث الميلادي بالجزائر، يقر بأن البربر كانوا يتعبدون وفقا للعبادات الفينيقية، ويؤكد هو وغيره من المؤرخين العالميين، أن البربر لم يتجاوبوا مع المسيحية كثيرا، لأنها وردت لهم من أروبا وعن طريق روما المستعمرة.

---

(1) المرجع السابق، ص 22.

(2) Le Passe de l'Afrique du Nord. E.F. Gautier. p31.

(3) حضارة العرب لغوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ط2، ص 307.

كما أن المؤرخين يثبتون أن البربرية كانت تكتب بالحروف الفينيقية، يقول الأستاذ الناضوري: «**فقد بدأ البربر في تسجيل لهجاتهم في القرن الثاني قبل الميلاد متأثرين باللغة البونية الفينيقية الأصل، والتي نجح الفينيقيون في التوصل إلى اختراع خطها لأول مرة في حياة الإنسانية بصورة نهائية**»[1].

ويعتبر الكنعانيون أحد الشعوب الأربعة التي يعود إليها البربر في أصولهم، والكنعانيون هم مخترعو الكتابة أو الأبجدية قبل أن تنقل على أيدي الفينيقيين بأكثر من ألف سنة، يقول الدكتور أحمد سوسة:

«**ومن المتفق عليه أن الكنعانيين الذين هاجروا من جزيرة العرب، واستقروا في فلسطين، كانوا أول من استعمل الحروف الأبجدية في الكتابة، وهي الحروف التي اكتشفت في شبه جزيرة سيناء، ويعود تاريخها إلى سنة 1850 قبل الميلاد، ومن الكنعانيين انتقلت إلى الفينيقيين الذين نقلوها بدورهم فيما بين سنة 850 و750 قبل الميلاد إلى الإغريقية واللاتينية، وصارت تعرف في اليونانية باسمها العربي (الألف باء)**»[2].

إذن فالبربر اندمجوا وتفاعلوا مع الفينيقيين واعتبروا أنفسهم دائما أنهم والفينيقيين من أصل واحد، يتحالفون معهم ضد الرومان، وأن قرطاجنة كانت تعتبر إمبراطورية مشرقية إفريقية في جنوب المتوسط، في مواجهة إمبراطورية روما بشمال البحر. وأن الوطنية المغربية في ذلك الوقت كانت تتمثل في التحالف مع قرطاجنة ضد روما. ومن هذا المنطلق فإن **سيفاكس** - رئيس مملكة مازيسيلا وزوج صفان بعل، ابنة صدر بعل (هزدروبال)- حليف قرطاجنة، هو الوطني الذي ناضل وحارب دفاعا عن الإمبراطورية الشمال الإفريقية (قرطاجنة)، ضد الإمبراطورية المستعمرة الأجنبية الغريبة عن شمال إفريقيا ألا وهي روما.

---

(1) كتاب د. رشيد الناضوري (المغرب الكبير).

(2) حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، ص 32.

ومن الغريب أيضا أن مؤرخي الرومان وأروبا حاولوا إقناعنا بأن الرومان هم الذين أدخلوا التطور والحضارة إلى نوميديا والبربر. لكن الحقيقة التي تعمدوا إخفاءها هي أن الذي أدخل الحضارة لسكان شمال إفريقيا وأخرجهم من العصور المظلمة أو بتعبير أدق من العصر الحجري القديم، هم الفينيقيون، يقول الأستاذ الناضوري: «عندما اتصل الفينيقيون بالبربر الذين كانوا لا يزالون في مرحلة العصر الحجري الحديث، بدأت العلاقات الفينيقية البربرية في التطور في المجالات الاقتصادية والحضارية، مما ساعد على انتقال البربر من المرحلة القبلية الهمجية، إلى مراحل أكثر تقدما نحو تكوين دولة بربرية»[1].

بل إن **ديورانت** مؤرخ الحضارات الإنسانية، يرى أن العرب هم أول من ابتكر الزراعة واستأنس الحيوان قبل المصريين وغيرهم، يقول: «إن هناك ما يدل على أن الحضارة، وهي هنا زراعة الحبوب، واستخدام الحيوانات المستأنسة، قد ظهرت في العهود القديمة غير المدونة، في بلاد العرب، ثم انتشرت منها في صورة مثلث ثقافي إلى ما بين النهرين سومر وبابل وآشور، وإلى مصر»[2].

البربر والرومان والفندال والبيزنطيون:

مما سبق يثبت أن البربر لم يتفاعلوا مع الرومان، وأنهم استمروا في اعتبارهم دخلاء على شمال إفريقيا مستعمرين أجانب. فحتى الكنيسة -التي انتشرت بالمشرق العربي- لم يعتنقها البربر، لأنها جاءت من روما حملها غزاة مستعمرون، بخلاف وضع الكنيسة في المشرق العربي. يقول الأستاذ العلامة الناضوري:

«وحقيقة كون الرومان ينتمون إلى عائلة الشعوب الأوروبية، وكذلك سيادتهم العسكرية، قد حال دون استطاعتهم -رغم محاولاتهم الكثيرة- تحويل البربر إلى شعب روماني النزعة»[3].

---

(1) المغرب الكبير، رشيد الناضوري، ج1، ص 221.

(2) قصة الحضارة لديورانت، الترجمة العربية، ج2، ص 43.

(3) المرجع نفسه، ص 287.

ومن الغريب أن عدم اندماج البربر مع الرومان كان شبيها بعدم اندماج عرب المشرق بهم أيضا، يقول الأستاذ الناضوري:

«ونفس هذه الظاهرة تنطلق على كافة شعوب الشرق الأدنى.. بخلاف العناصر السامية العربية التي تمكنت من التأثير الكلي على المصريين والبربر، وتعريبهم لغويا وفكريا، ولا يقتصر هذا على البربر فقط بل ويشمل الشرق الأدنى كله»[1].

وقد شهد المؤرخون الأروبيون النزهاء على تناقض البربر مع الرومان، وعدم اندماجهم لا بهم ولا بحضارتهم. ويقول محررو مادة (بربر) في موسوعة "يونيفيرساليس Universalis":

«لم ترضخ القبائل البربرية للرومان، بل استمرت في تمردها ضدهم، فالحضارة الرومانية لم تدمج في بوتقتها البربر، كما أن الحضارة الرومانية لم تؤثر سوى على قلة قليلة جدا من المغاربة»[2].

ونفس عدم التفاعل هذا للبربر تم إزاء (الفندال)، وهي القبائل الجرمانية التي غزت شمال إفريقيا في القرن الخامس الميلادي. فقد قضى الوانداال فترة احتلالهم بشمال إفريقيا في سلسلة من الحروب والثورات مع البربر. ولعل أخطر ثورة كانت ضدهم هي ثورة "تراسا موند"، واعتبرت هذه الثورة ثورة الفلاحين ضد الكولون (الإقطاعيين) الوانداال، وكان مصير الجيش الوانداالي الغازي هزيمة ساحقة سنة 523م في معركة ركاب الجمال. وهزم الوانداال وطردوا من شمال إفريقيا، رغم استعمارهم الذي دام حوالي قرن.

نفس الشيء حدث مع البيزنطيين ورثة ممتلكات روما، فلم يكد يمضي عامان على احتلال البيزنطيين للمغرب، حتى اندلعت ثورات البربر ضدهم

---

(1) حضارة العرب لغوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ط2، ص 307.

(2) موسوعة يونيفيرساليس، مرجع ذكر سابقا.

واستمرت مشتعلة فيما بين 535 و545م.. وحاول كبار قادة الإمبراطورية العسكريين التصدي لهذه الثورات، ولكنهم فشلوا وهم (بليزاريوس، وجرمانوس، وصولومون وتروجليتا)، وجهودهم ذهبت عبثا.

ثم حاولت العسكرية البيزنطية مدة 25 سنة فرض الهدوء على ربوع البلاد، وعندما نجحوا في ذلك في منتصف القرن السادس الميلادي، كانت الولايات المغربية هجرها سكانها (إلى المناطق الجبلية والصحراوية) وشملها الخراب[1] وهو نفس الشيء الذي حدث مع الاحتلال الفرنسي بالجزائر.

ثم تلاحقت ثورات البربر ضد الاحتلال البيزنطي الذي لم يستقر له قرار طوال وجوده.. «وبقي البربر خارج الخط القنصلي (البيزنطي) يحيون حياة مستقلة»[2].

وفي سنة 563م قامت ثورة كبرى في عهد جان روجاتينوس ممثل الإمبراطور البيزنطي بالمغرب.

ويقر محررو مادة بربر في موسوعة "يونيفيرساليس Universalis": «بأن البربر غرباء عن الحضارة اليونانية - الرومانية»[3].

البربر والفتح الإسلامي:

البربر معروف عنهم أنهم أشداء ذوو جلد وصبر، شعب محارب بشراسة. وفي الوقت الذي نجدهم قاوموا الرومان ورفضوا الاندماج فيهم، واعتناق دينهم، واكتساب عاداتهم ولغتهم وثقافتهم؛ نجدهم استقبلوا العرب بترحاب في القرن السابع الميلادي. لقد تصدى البربر للرومان وحاربوهم بشراسة، رغم أن احتلال الرومان دام أكثر من ستة قرون، أسسوا فيها المدن والمسارح والجامعات؛ يكفي أن يعلم القارئ أن ثاني جامعة بالإمبراطورية الرومانية

---

(1) المغرب الكبير، تأليف د. عبد العزيز سالم، ج2، ص 51.

(2) نفس المرجع، ص 53.

(3) موسوعة يونيفيرساليس، ص 170، م3.

وممتلكاتها بعد جامعة روما، كانت جامعة مداوروش بالشرق الجزائري. يكفي أن يعلم القارئ أن من أهم مسارح روما بالعالم هو مسرح تبسة الداثري، يكفي أن يعلم القارئ أن الحضارة الرومانية المسيحية أنجبت أعظم الفلاسفة اللّاهوتيين في تاريخ الكنيسة من أمثال القديس أوغسطين (ST. Augustin) بهربيون (عنابة - الجزائر)، وترتوليان (Tertulien) وأبوليوس (Apulee)، ومينيكوس فيليكس بمداوروش. يكفي أن يعلم القارئ الكريم أن أقدم مدرسة فلسفية حلولية مسيحية ظهرت في جامعة مداوروش بالشرق الجزائري. إذن فهذه كلها شواهد على بقاء الرومان مدة طويلة، وشاهد على تغلغل ثقافتهم وحضارتهم وتراثهم الديني بالمغرب العربي. فبوابة كراكلا (Caracalla-Marcus) بسور تبسة التي لا نظير لها بالعالم، وسور تبسة بكامله وبقائه سليما لا مثيل له بالعالم، ومدينة تيمقاد، ومدينة جميلة، ومدينة شرشال، وتيبازة؛ كلها شواهد على تغلغل الوجود الروماني بالمغرب. لكن رغم ذلك كله فقد بقي هذا الوجود هامشيا سطحيا، لأن نفوس المغاربة لفظته ورفضته لغربته عنها ولغربتها عنه.

لكن ما أن جاء الإسلام ودخل العرب المغرب العربي مرة أخرى حتى استجاب البربر، ولم تكد تمر فترة تقل عن خمسين سنة حتى وجدنا المغاربة وقد صاروا جميعا مسلمين عربا، يتحدثون العربية ويكتبونها ويخطبون بها بفصاحة تندر حتى بين خطباء الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، لماذا؟ قيل لأن رسالة الإسلام عادلة، ذات مستوى روحي محبب لنفوس الشعوب ذات التكوين القبلي.

وهذا سبب وجيه ومعقول، لكن جل المؤرخين يقرون أن أسبابا أخرى غير هذا السبب تكمن وراء الاستجابة السريعة للبربر للفتح الإسلامي - العربي. وهي تتمثل في التشابه الكبير بين حياة البربر والعرب وبين تراثهم الحضاري والثقافي والفني.. أي أن البربر عندما دخل العرب بلادهم تصوروهم غرباء

عنهم مثل الرومان، فتصدوا لهم بمقاومة شرسة، وما أن احتكوا بهم في القتال حتى اكتشفوا في العرب أصولهم، وهذا ما سنثبته عندما نورد قصة الكاهنة مع الجيوش العربية.

ومن غير شك فإن ما وصل العرب من شراسة حروب البربر ضد الرومان، جعل الخليفة عمر بن الخطاب يتوجس خيفة من غزو بلاد البربر، خشية مقاومتهم، فيفشل الفتح الإسلامي بالمغرب، مثلما فشل الوجود الروماني.. فقد أرسل عمر بن الخطاب برسالة إلى عمرو بن العاص والي مصر، عندما استأذنه هذا فتح بلاد المغرب، التي كانت تسمى في ذلك الوقت بإفريقية. ورد عمر عليه قائلا: «لا إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت»[1].

وفتحت بلاد المغرب في عهد عثمان بن عفان. ووجد العرب استجابة فورية وواسعة. ويقول الدكتور عبد العزيز سالم:

«ونجح **عقبة بن نافع** في كسب كثير من من سكان البلاد من قبائل لواتة، ونفوسة، ونفزاوة وهراوة، فدخلوا في الإسلام»[2].

وكان زعماء البربر يتتبعون أخبار العرب في الشام وفي مصر، ومن غير شك فقد كانت هناك صلات بين مصر والشام من جهة وبلاد المغرب من جهة أخرى، ومن غير شك أن يكون قد تم بعض الاتصال بين بعض زعماء البربر وعمرو بن العاص والي مصر. يقول الأستاذ عبد العزيز سالم: «وكانت قد بلغتهم الأخبار باستيلاء العرب على بلاد الشام ومصر، فتطلعوا إلى الخلاص من البيزنطيين على أيدي العرب»[3].

---

(1) فتح مصر والمغرب لابن عبد الحكم عبد الرحمن، ص 40.
(2) المغرب الكبير، عبد العزيز سالم، ص 152.
(3) المرجع السابق، ص 143.

قصة كسيلة:

يحاول أعداء الانتماء العربي للجزائر والمغرب من ذوي النزعة البربرية الهدامة، استغلال قصة كسيلة، الزعيم البربري الذي ارتد عن الإسلام وحارب العرب.. والحقيقة التاريخية حول كسيلة والظروف والملابسات التي أحاطت بارتداده، كان هؤلاء الهدامون وأساتذتهم منظرو الاستعمار يتجاهلونها..

وخلاصة هذه الحقيقة أن كسيلة أسلم، لكن الذي دفعه إلى الارتداد عن الإسلام ومحاربة العرب، هو خطأ أو أخطاء ارتكبها عقبة بن نافع ودفع ثمنها على يد كسيلة نفسه، وإلى القارئ الكريم ما أورده المؤرخون حول هذه القصة.

بفضل حنكة (أبو المهاجر دينار) وهو أحد القادة المسلمين العرب، استطاع استمالة كسيلة وزعماء البربر للإسلام، إلى أن وصلت الجيوش العربية الإسلامية إلى مدينة تلمسان بالغرب الجزائري.. لكن عندما جاء يزيد بن معاوية للحكم، عزل أبا المهاجر سنة 62 هـ، وأرسل عقبة بن نافع ليخلفه... واعتقل عقبة أبا المهاجر وكبله بالقيود وصادر أمواله.. وحيث أن كسيلة كانت تربطه صداقة بأبي المهاجر دينار، ومن المحتمل أن يكون استاء من عزل صديقه، وبأن ذلك قد بلغ إلى عقبة بن نافع، فحقد هذا عليه وتعمد الإساءة إليه وإهانته، ويذكر المؤرخان: المالكي، وابن عذارى القصة التالية: «إن عقبة أتى يوما بذود غنم للعسكر، فذبح الذود، فأمر عقبة كسيلة أن يسلخ مع السالخين، فقال له: أصلح الله الأمير، هؤلاء فتياني وغلماني يكفوني، فنهره عقبة، وقال له: قم.. فقام كسيلة مغضبا، فكان كلما دمس في الشاة مسح يده بلحيته مما علق بيده من بلل ذلك. وجعل العرب يمرون عليه وهو يسلخ، ويقولون له: ما هذا الذي تصنع؟ فيقول: هذا جيد للشعر. فمرّ به شيخ من العرب فقال: كلا، إنه ليتوعدكم. فقال أبو المهاجر لعقبة: أصلح الله الأمير، ما هذا الذي صنعت؟ كان رسول الله ﷺ يستألف جبابرة العرب كالأقرع بن حابس التميمي، وعتيبة بن حصن، وأنت

تجيء إلى رجل هو خيار قومه، في دار عزه، قريب عهد بالكفر، فتفسد قلبه. توثق من الرجل فإنّي أخاف فتكه. فتهاون به عقبة، فلما انصرف، نكث البربر ما كانوا عليه»[1].

أما الخطأ الثاني الذي ارتكبه عقبة بن نافع فهو أنه استفز قبيلة أوربة فغزاها استفزازا، دون أن ترتكب أمرا تستحق عليه هذا الغزو، ونصحه أبو المهاجر دينار أيضا قائلا: «إن قبيلة أوربة البرانسية أسلمت بإسلام كسيلة، وليس هناك ما يدعو إلى غزوها، فأبى عقبة أن ينتصح»[2].

ودفع عقبة بن نافع كسيلة والبربر إلى التمرد، ففر إلى جبال الأوراس وجمع الجموع وترصد لعقبة وهو عائد من المغرب الأقصى وقتله؛ كما أباد كل من كان معه. ثم دفع كسيلة العرب إلى طرابلس، وأخليت القيروان من الجنود. والمؤرخون يذكرون أن كسيلة لم يلحق أذى بالقيروان رغم استطاعته ذلك، ولم يمسها بسوء، وهذا دليل على أن كسيلة لم يكن يريد شطب الوجود العربي، وإنما أراد الانتقام من شخص عقبة فقط.

ويذكر المالكي: «أنه لم يبق في القيروان بعد رحيلهم إلا الشيوخ والنساء والأطفال، وكل مثقل بالأولاد. فأرسلوا إلى كسيلة يسألونه الأمان فأجابهم.. دخل القيروان سنة 64 هـ. وجلس في قصر الإمارة أميرا على البربر ومن بقي منهم من العرب»[3].

بل إن المؤرخ المصري حسين مؤنس، يوضح بجلاء قضية تمرد كسيلة وأسبابه.. ويكشف أن كسيلة وجد نفسه أمام جماهير بربرية مهمة، اعتنقت الإسلام وتفاعلت مع العرب، وترفض الانفصال عنهم والتخلص كليا من الوجود العربي بالمغرب، يقول الدكتور مؤنس:

---

(1) رياض النفوس للمالكي، ص 29، والبيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى أبو عبد الله.
(2) المالكي: ص 24.
(3) رياض النفوس، للمالكي، ص 32.

قاف.عين

«كان في إفريقية في ذلك الحين نفر عظيم لم يرضهم سقوط القيروان في يد كسيلة، فأثارهم ذلك، وثارت المنازعات بينهم وبين أنصاره. ومن يكون هؤلاء الذين ثاروا تلك الثورة إلا بربرا مسلمين»[1].

ويبدو أن كسيلة نفسه لم يكن متحمسا كثيرا إلى الاستمرار في مقاومة العرب، أو أن البربر المسلمين كانوا من القوة بحيث لم يسهلوا له مهمته في طرد العرب نهائيا من المغرب. وقضى كسيلة خمس سنوات كاملة يحكم القيروان. هل كان ينتظر أن يعهد إليه بولاية إفريقية فيعود للإسلام؟ أم أن المقاومة كانت شديدة ضده من طرف البربر المسلمين المستعربين؟ وعلى كل حال، فقد مرّت هذه السنوات الخمس محفوفة بغموض لم يجله المؤرخون. ثم عاد **زهير بن قيس** على رأس جيش من طرابلس ومصر. ويروي المالكي أن كسيلة عندما اقترب من جيش المسلمين من القيروان خرج من المدينة قائلا لأتباعه: «إني رأيت أن أرحل عن هذه المدينة، فإن بها قوما من المسلمين لهم علينا عهود، ونحن نخاف إن أخذنا القتال معهم أن يكونوا علينا[2]. ثم قتل كسيلة على يد زهير بن قيس في معركة ممّس.

نستنتج مما سبق ما يلي:

1 - أن تمرد كسيلة وارتداده عن الإسلام ومحاربته للعرب جاء بسبب خطأين اثنين ارتكبهما عقبة بن نافع في حق كسيلة، ولو بقي أبو المهاجر دينار واليا على المغرب وقائدا على الجيوش الإسلامية لما تمرّد كسيلة.

2 - فشل كسيلة رغم سيطرته على إفريقيا والقيروان مدة خمس سنوات كاملة، فشل في تصفية الوجود العربي الإسلامي. وذلك إما لأنه لم يكن مقتنعا بما يفعل، وبأن هدفه كان شخصيا وهو الانتقام من عقبة بن نافع، وإما لأنه وجد

---

(1) فتح العرب للمغرب، للدكتور حسين مؤنس، ص 211.

(2) المالكي أبو بكر: رياض النفوس، ص 32.

أمامه جماهير غفيرة من البربر اعتنقت الإسلام واندمجت في العرب فعرقلت مساعيه لتصفية وجودهم.

3 - يتبين مما سبق أن قضية كسيلة التي يستغلها أعداء الانتماء العربي للجزائر، من ذوي النزعة البربرية الاستعمارية المقيتة، ترتكز على أسس واهية. لأن مقاومة كسيلة لم تأت انطلاقا من إيمانه ببربريته ضد غزو عربي كما يزعمون، وإنما جاءت كرد فعل شخصي عاطفي بل وغريزي. ولم يحدثنا التاريخ أن ردود الفعل العاطفية الغريزية تثمر في حركة نضال الشعوب.

4 - يستنتج مما سبق أيضا أن الوجود العربي الإسلامي تغلغل عميقا في نفوس البربر. ولو لم يكن كذلك لتمكن دعاة تصفية هذا الوجود من تأسيس قوة متراصة قادرة على التصدي نهائيا للجيوش الإسلامية. وأظن أن خمس سنوات من سيطرة كسيلة على المغرب العربي كانت كافية لذلك.

قصة الكاهنة:

ويحاول أيضا أنصار النزعة البربرية الاستعمارية تشويه قصة الكاهنة في التاريخ. لكنّ الحقائق التاريخية في هذه القصة نوردها للقراء الكرام مستمدة من الكتب العربية الإسلامية، أي من مصادرها الحقيقية، مع ملاحظة أن محرفي قصة الكاهنة المغرضين يعتمدون في تحريفهم على مؤرخي الاستعمار الفرنسي.

بقيت الكاهنة معتصمة بجبال أوراس النّمامشة على رأس قبيلتها (جراوة)، ونظرا لعدم احتكاكها بالعرب، وعدم اطلاعها على هوية رسالتهم، فقد تصورت أنهم يشبهون الرومان، جاءوا مستعمرين مستغلين؛ ولكن عندما حاربتهم واحتكت بهم اكتشفت ذاتها فيهم، وهي السيدة المعمرة الحكيمة. كما اكتشفت أصول قومها في هؤلاء القادمين، فقضت آخر حياتها غير متحمسة لحربهم، بل وأوصت ولديها بأن يعتنقا الإسلام، ويكفا عن محاربة العرب. ويروي البكري:

«أن الكاهنة عملت على القضاء على مظاهر العمران اعتقادا منها بأن العرب يسعون وراء العمران، حيث الذهب والفضة، فوجهت قومها إلى كل ناحية من بلاد إفريقيا يحرقون المزارع، ويهدمون الحصون، فبعد أن كانت إفريقيا ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة قرى متصلة ومدنا منتظمة، تلاشى هذا كله وشمل الخراب سائر هذه البلاد»[1].

ومما يدل على أن الكاهنة حاربت العرب بسبب جهلها بهم، قصتها مع **خالد بن يزيد العبسي**. فقد أسرته مع ثمانين من كبار المسلمين في معركة دارت بينها وبين الجيوش العربية في (مسكيانة) بالشرق الجزائري، وعندما حدثتهم وسألتهم عن دينهم وعن جنسيتهم اكتشفت فيهم أشياء أحدثت صراعات نفسية في أعماقها. وتأثرت بإعجابها بالعرب من خلال ما عرفته من هؤلاء الأسرى الثمانين؛ فأطلقت جميع الأسرى، واحتفظت بخالد بن يزيد العبسي، وقررت أن توكل له تربية ولديها، بل وقامت بتبني خالد بن يزيد وفقا لشعائر دينها. ولنستمع إلى ابن عذارى يروي لنا قصة هذا التبني:

«عمدت إلى دقيق الشعير فلثته بزيت، وجعلته على ثديها، ودعت ولديها، وقالت كلا معه على ثديي، ففعلا، فقالت: صرتم إخوة»[2].

ويجمع المؤرخون أنه ما كادت الكاهنة تعلم بوصول حسان بجيشه إلى إفريقيا، حتى رحلت من جبال أوراس، بعد أن أوصت خالد بن يزيد أن يصحب ولديها ويستأمن لهما عند **حسان بن النعمان**، فأمنهما. أما هي فقررت أن تقاتل حتى الموت. ويقول ابن خلدون: «وكان للكاهنة ابنان قد لحقا بحسان قبل الواقعة، أشارت عليهما بذلك أمهما، وهبا لإشارة علم كان لديها في ذلك من شيطانها، فتقبلهما حسان، وحسن إسلامهما واستقامت طاعتهما، وعقد لهما على قومهما»[3].

---

(1) المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، للبكري أبو عبد الله، ص 35.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ص 37، ج1.

(3) تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 18، طبعة بيروت.

ويروى عن الكاهنة أنها قالت لولديها وهي تودعهما: «.. يا ولديّ أوصيكما بالعرب والإسلام خيرا، أما أنا فإنما الملكة من تعرف كيف تموت».

نستنتج مما سبق:

1 – أن الكاهنة حاربت العرب لأنها كانت تجهل عنهم أي شيء، وعندما احتكّت بهم من خلال نقاشها للأسرى العرب الذين وقعوا بين يديها، لم تكتشف فيهم فقط عدالة الرسالة التي حملوها، وإنما اكتشفت في لغتهم وعاداتهم وطريقة حياتهم تشابها كبيرا، بل وتطابقا مع لغتها وعاداتها وطريقة حياة قومها؛ فاهتزّ الإصرار على دحر العرب في نفسها. ولكن قررت –وهي التي عاهدت قومها على القتال– أن تقاتل حتى الموت رغم عدم إيمانها بما تفعل. أو بتعبير أدق رغم اهتزاز إصرارها على محاربة العرب.

2 – تدل قصتها مع خالد بن يزيد العبسي، ومع ولديها، على ما أوردناه في الفقرة السابقة، لأنه ليس من المعقول أبدا أن يقدم قائد عسكري مثل الكاهنة على تسليم فلذات كبده إلى عدوه يربيهم على دينه، وعلى لغته، وعلى ثقافته. أما عن تخريج بعض المؤرخين الأروبيين لقصة خالد بن يزيد العبسي، على أن الكاهنة وقعت في حبه، فهو أمر لا يرتكز على أساس تاريخي، وهو غير معقول أبدا، لأن فارق السن كبير، فالكاهنة كانت آنذاك في سن 127 سنة، وخالد شاب صغير، ثم إن قصة التبني وعجينة الشعير تفند هذا الادعاء.

3 – لقد أورد المؤرخون قصة عن الكاهنة احتاروا في أمرها، فعندما هزمت حسان بن النعمان في موقعة مسكيانة سنة 75 هـ، ودحرت جيوشه إلى طرابلس، دخلت مدينة القيروان عاصمة المسلمين بالمغرب في ذلك الوقت، وتجولت في شوارعها ثم غادرتها، دون أن تتعرض لا للمدينة ولا لأهلها بسوء، وهو أمر غريب ومحير. **هل بدأت تدرك الكاهنة مدى قربها وقرب قومها من الجنس العربي؟ هل بدأت تقتنع بعدالة الرسالة التي حملوها مع سيوفهم؟ وخاصة**

وهي المرأة المحنكة -مثلما أورد ابن خلدون- «عاشت 127 سنة، وملكت 35 سنة»، فأتاحت لها هذه التجربة الوايعة في الحياة والملك، أن تكتشف بفراستها أصول قومها في العرب، وأصول لغتهم في اللغة العربية، وأصول طريقة حياتهم في طريقة حياة العرب، فأمرت ولديها في حياتها بأن يكفا عن حرب العرب، وأن يعتنقا الدين الذي جاءوا به، وأن يكتسبا الثقافة التي أحضروها معهم.

يتبين مما سبق أن قصتي كسيلة والكاهنة قد حرفتا من طرف المؤرخين الفرنسيين: منظري الاستعمار، وفلاسفته، وفلاسفة "فرنسة الجزائر"، وأن تلاميذ الآباء البيض، مبشري الاستعمار ورواده، وطلائعه، من الجزائريين والمغاربة، لايزال لهم وجود بالجزائر والمغرب العربي حتى الآن، وقد فضحتهم مناقشات ميثاق 1976، ودفعتهم إلى أن يكشفوا عن هويتهم، ويعلنوا عن أفكارهم السامة الموروثة من الآباء البيض مبشري الاستعمار. وقد تصدت لهم في بلاد القبائل نفسها، الجماهير، والمثقفون الذين كانوا في حصن الحركة الوطنية القوي الذي حال دون تأثير أفكار مبشري الاستعمار الفرنسي عليهم، وجعلهم في مأمن. وهبت لهم أصوات من جبال الأوراس، ومن الطوارق، ومن الونشريس، وفي وادي ميزاب ترد عليهم وتسفّه أفكارهم المسمومة.

قبل دخول الفرنسيين الجزائر في 1830، لم يكن بالمغرب العربي شخص واحد يقول بأن البربر غير العرب، أو بأنهم جنس من أصل أروبي. وفكرة "النزعة البربرية" فكرة دخلت مع الاستعمار الفرنسي، حمل لواءها فلاسفته والمبشرون بأفكاره.

فقد كان النسابة البربر يوصلون القبائل البربرية بأصول عربية، سواء بالجزيرة العربية وخاصة بجنوبها، أو ببلاد الشام. ويروي ابن خلدون «أن نسابة زناتة ينسبون أنفسم إلى حمير، وإلى العمالقة»[1].

(1) تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 6.

كما أورد ما يلي:

«وقال هاني بن بكور الضريبي، وسابق بن سليمان المطماطي، وكهلان بن أبي لؤي، وأيوب بن أبي يزيد، وغيرهم من نسابة البربر، أن البربر فرقتان كما قدمنا، وهما: البرانس والبتر، فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان؛ والبرانس بنو برنس بن سفجو بن أبرج بن جناح بن واليل بن شراط بن تام بن دويم بن دام بن مازيغ بن كنعان بن حام. وهذا هو الذي يعتمده نسابة البربر»[1].

ويورد ابن خلدون في تاريخه شعرا في هذا المعنى، أنشده شعراء يمجدون فيه نسب البربر العربي، مثل قول الشاعرة تماضر:

فاقسم أنّنا والبرابـــــرُ إخـــوة ... نماما وهم جدّ كريم المناصب
أبونا أبوهُمْ قيسُ عيلانَ في الذّرى ... وفي حرسه يسقي غليل المحارب[2]

كما يورد ابن خلدون شعرا لقيس بن خالد (البربري) يفتخر فيه بأصله العربي:

أيهـــا السائـــلُ عنّا أصلنـــا ... قيـــسُ عيـــلانَ بنو العـــزِّ الأُولْ
نحنُ ما نحنُ بنـــو برّ القـــوي ... عرف المجدَ وفي المجد دخـــل
وابتنى المجـــدَ فأورى زنـــدَه ... جدّنا الأكبرُ فكـــاكُ الكُبَـــلْ
إن قيسًا قيـــس عيـــلانَ هـــمُ ... معدن الحقّ على الخيـــر دَلَـــلْ
حسبُـــك البربـــرُ قومي إنّهـــم ... ملكوا الأرضَ بأطراف الأســـلْ
وببيض تضـــربُ الهـــامَ بهـــا ... هامَ من كانَ عن الحـــقّ نكـــلْ[3]

ويذكر ابن خلدون كيف كان يتفق نسابة العرب مع نسابة البربر على الأصل العربي للبربر؛ وابن خلدون كعادته يناقش هذه النسبة ويختلف مع النسابة حول عروبة كل قبائل البربر. لكنه يعترف بعروبة أكبر قبيلتين بربريتين وهما صنهاجة

(1) تاريخ ابن خلدون، ص 186، ج6، طبعة بيروت.
(2) المرجع السابق، ص 187.
(3) المرجع السابق، ص 187. الأسل: الرماح.

وكتامة. كما يقر وهو المؤرخ الفذّ، بأنهما قدمتا من اليمن في هجرات سابقة للفتح الإسلامي بل وقبل الميلاد، يقول:

«ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم، كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة، فإن بين نسابة العرب خلافا، والمشهور أنهم من اليمنية، وأن إفريقس لما غزا إفريقية أنزلهم بها.. وعندي أنهم من إخوانهم (أي من العرب) والله أعلم»[1].

وإفريقس هذا الذي يورده ابن خلدون، والذي ورد ذكره في هذه الدراسة هو «إفريقس بن قيس بن صيفي، أحد ملوك اليمن»[2].

ويورد ابن خلدون في تاريخه أيضا ما يلي:

«ويروي ابن أبي دينار عن المقريزي أن إفريقس بن أبرهة ذي القرنين، غزا المغرب ثم ابتنى هناك مدينة سماها إفريقية»[3].

وقد رأينا أن نسرد في هذه الدراسة، النصوص التي أوردها ابن خلدون في تاريخه عن نسب البربر العربي، وهذه النصوص كالتالي:

«قال آخرون: البربر يمنيون، وقالوا أوزاع من اليمن»[4].

«وقال المسعودي: البربر من غسان وغيرهم، تفرقوا إثر سيل العرم.. وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين، وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول، فعبروا النيل وانتشروا بالبلاد»[5].

«وقال أبو عمر بن عبد البر: ادعت طوائف من البربر أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبأ. قال: ورأيت في كتاب الإسفندار الحكيم: أن النعمان بن حمير بن سبأ كان ملك زمانه في الفترة، وأنه استدعى أبناءه وقال لهم: أريد أن أبعث منكم

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 192.
(2) دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج2، ص 338.
(3) تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 338.
(4) تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 182.
(5) المرجع السابق، ص 183.

للمغرب من يميزه، وأنه بعث منهم لمت أبا لمتونة، مسفو أبا مسوفة، ومرطا أبا مسكورة، وأصناك أبا صنهاجة، ولمط أبا لمطة، وأيلان أبا هيلانه، فنزل بعضهم بجبل دون، وبعضهم بالسوس، وبعضهم بدرعة..» إلخ[1].

«وغزا إفريقيش المغرب ونقلهم من سواحل الشام وأسكنهم إفريقية وسماهم بربر. والبربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقرسين، وتلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم "البربر" لكثرة الكلام.. ويقال إن إفريقيش استجاشهم لفتح إفريقية وسماهم البربر. وينشدون من شعره:

تبربرتْ كنعـانُ لمـا سُقْتهـا من أراضي الضَّنك للعيشِ الخصيبْ»[2]

ويلاحظ أن هذا البيت يذكر سبب هذه الهجرات، وهو الجفاف، ويتفق مع علماء التاريخ المحدثين.

ويروي السلاوي في كتابه الاستقصاء قصة قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وزواجه من تمريغ بنت يجدول بن عمار بن محمود، وكان من أولاده منها برّ.

ويقول الأستاذ عبد الرحمن باغي في كتابه "حياة القيروان":

«فليس مما يناقض الحق أن يكون البربر جيلا من الحاميين، قديما استوطن المغرب مدة طويلة من الزمن القديم، ثم تلاحقت به بقية من كنعان من الشام، واختلطوا بهم وامتزجوا فيهم، شأن السومريين، حين نزح لهم الساميون وكوّنوا البابليين»[3].

وأنا أزيد على رأي الأستاذ عبد الرحمن هذا القيّم فأقول: فليس مما يناقض الصواب أبدا أن يكون البربر جيلا من الساميين - الحاميين لأن جلّ المؤرخين حديثا توصلوا إلى نتيجة وهي عدم وجود سلالتين منفصلتين بعضها عن البعض الآخر، وإنما هم سلالة واحدة، كان مهدها الأول شرق إفريقيا واليمن في

---

(1) المرجع السابق، ص 183.

(2) المرجع السابق، ص 183.

(3) حياة القيروان، لعبد الرحمن باغي، ص 19.

العصور القديمة، ثم جاءت هجرات متتالية من السبئيين والحميريين والغساسنة، والكنعانيين والعمالقة من اليمن وبلاد الشام. وكونوا التجمع السكاني الذي سمّي فيما بعد بالبربر. بل إن تسمية الساميين كما بيّنا لا أساس لها علميا وتاريخيا، وأن كثيرا من علماء التاريخ يستبدلونها بالتسمية العربية.

ويورد الأستاذ عبد الرحمن باغي في كتابه حياة القيروان خلاصة آراء عدة مؤرخين يوثق في رواياتهم ونقلهم، يوردها كما يلي:

«ويذكر صاحب الاستقصاء قول ابن خلدون ويطمئن إليه، وهو أن علماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم جنسان عظيمان هما برنس ومارتميس الذي يلقب بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس. وبين النسابين خلاف هل هما لأب واحد أم لا، فعند ابن حزم أنهما لأب واحد، والجميع من نسل كنعان بن حام، وعند سابق بن سليمان المطماطي وغيره من نسابة البربر أن البرانس فقط من نسل كنعان، وأما البتر فهم بنو بتر بن قيس بن عيلان بن مضر، ثم يرجح السلاوي أن الشعبين معا عريقان في البربرية، وأن الجميع من ولد مازيغ، ومازيغ من ولد كنعان بن حام»[1].

وكلمة أمازيغ نفسها عربية، فالأمازر من الرجال: الأقوياء أشداء القلوب.

تسمية البربر:

لا يوجد لكلمة "البربر" أصل عرقي (إتني)، فالبربر اشتهروا في التاريخ بالبتر، وبالبرانس أحيانا أخرى، أكثر من اشتهارهم بتسمية البربر. سمُّوا بالعهد القرطاجني وعهد ماسينيسا ويوغرطا بالجدالة: سكان الصحراء؛ وبالمزالة: سكان الهضاب؛ وسموا بالنوميديين من طرف اليونان. فقد قال أبوليوس الكاتب المداوروشي المشهور الذي عاش بالقرن الأول الميلادي: «إن أبي نوميدي وأمي جدالية».

(1) المرجع السابق، ص 19.

ويرى الأستاذ عبد الرحمن باغي، الذي يغلب أن كلمة بربر مشتقة من الكلمة اللاتينية (Barbarus)، وهو الاصطلاح الذي أطلقه الرومان ومن قبلهم اليونان، على الشعوب التي تقل عنهم حضارة.

وقد سبق أن أوردنا نص المؤرخ الطبري الذي يرى أن أول من أطلق هذا الاسم على سكان المغرب هو إفريقيش إذ قال لهم -وهم في بلاد الشام- «ما أكثر بربرتكم، فسموا لذلك بربرا»[1].

ويستدل من جميع آراء المؤرخين عربا وأروبيين نزهاء، أن كلمة "بربر" لا تعتبر تسمية ذات أصالة تتضمن تحديدا عرقيا (إتنيا)، والغالب أنها أخذت من الاصطلاح الروماني الذي كان يطلق كما سبق أن بينّا على جميع الشعوب المتخلفة، بمستعمراتهم، سواء بالشرق الأدنى أو بشمال إفريقيا أو أوروبا. والغريب أن الذي أوجد الفرق في الكتابة بين التسمية الرومانية هذه، وتسمية البربر هم بعض المؤرخين الأوروبيين، فاستبدلوا حرف (A) في كلمة (Barbare)، بحرف (E) في كلمة (Berbere) وهو استبدال مفتعل كما هو واضح، وضع لتكريس انفصال البربر عن العرب بالمغرب العربي. ولو كانت هذه التسمية أصيلة لها مضامين عرقية (إثنية)، لاحتفظ بها البربر حتى بعد استقرار الإسلام بالمغرب، مثلما بقيت كلمة "الفرس" و"الأفغان" و"الترك" و"الهنود"، وغيرهم من الأجناس الإسلامية التي لازالت مسلمة، لكنها احتفظت بمميزاتها العرقية اللغوية حتى الآن.

ومما يؤكد عدم أصالة تسمية (البربر) عرقيا تسميات فئات البربر المتعددة السائدة حاليا، من صحراء مصر الغربية، وحتى المحيط الأطلسي. ولو سألت أي مواطن من هذه الفئات التي تتجاوز عشر فئات «هل أنت بربري» لما فهم ما تقول، لأن تسميات هذه الفئات اتخذت صفات جغرافية أحيانا، ومهنية أحيانا أخرى، وهي أبعد ما تكون جميعها عن المضامين العرقية.

(1) تاريخ الطبري أبو جعفر، ج1، ص 442.

ولنستعرض معا هذه التسميات مبتدئين من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في الامتداد الجغرافي المتواجدة على صعيده الفئات البربرية.

- **بدو سيوة**: بالصحراء الغربية بمصر، وهم ينسبون جغرافيا إلى منطقة تسمى سيوة.

- **الزوارة**: بغرب ليبيا، وهم ينسبون إلى منطقة زوارة، بل إن معنى هذه التسمية عربي من (التزاور).

- **الشاوية**: تطلق على سكان الشرق الجزائري، نسبة إلى الشاة. وهي عشائر وقبائل تربي الشاة. وفي بادية الشام -الصحراء المشتركة بين سورية والعراق- مناطق يسمى سكانها (شواية).. وهم يربون الشاة أيضا.

- **الطوارق**: وهم في جبال الهوغار وبأقصى جنوب الجزائر. وهي تسمية عربية من طرق باب الصحراء المرعب يطرقه، فهو طارق وهم طوارق أو طراق.

- **الميزابية**: وهم في منطقة غرداية بالجنوب الجزائري، وأخذت هذه التسمية من وادي ميزاب الذي يقيمون فيه.

- **القبايل**: وهي تسمية عربية. جمع قبيلة، وتنطق وتكتب الهمزة ياء، وهذا عربيا أيضا يسمى "التسهيل"، مثل نطق عزرائيل عزراييل وجبرائيل جبراييل.

- **الروايف**: فئة بشمال المغرب الأقصى وهم يسكنون "منطقة الريف" المشهورة.

- ... إلخ.

فهذه التسميات جميعها لم توجد -صدفة- جغرافية أو مهنية، خالية من أية مضامين عرقية، وإنما لها أصل في الواقع والتاريخ، ولو كان البربر أصلا عرقيا وإتنيا، ولو كان البربر غير العرب وغير (الساميين) لاحتفظوا بتسميتهم، واستوعبوها، وغرسوها في نفوس أبنائهم. مثلما حدث ببلاد فارس وتركيا مثلا. رغم أن هذين البلدين تقع حدودهما على حدود بلاد الشام والعراق، وهما أقرب

جغرافيا لشبه الجزيرة العربية من المغرب. والآن وفي أقطار الشمال الإفريقي، لا يعرف معنى كلمة (بربر) ومدلولها إلا من تعلم وقرأها في الكتب. وهذا له دلالته. فالبربرية، والنزعة البربرية من خلق غرباء عما يسمى بالبربر، دخلاء عليهم، هدفهم ليس خدمة التاريخ، لأن التاريخ ينكر وجود البربر خارج إطار الأمة العربية، وإنما هدفهم تمزيق الشعب الجزائري وشعوب المغرب العربي، وفصلها عن المشرق والأمة العربية التي تنتمي إليها هذه الشعوب. ومما يؤكد ذلك أن النزعة البربرية، والانفصالية البربرية، جاءت مع الاحتلال الفرنسي؛ وأن أدبياتها الهزيلة لا توجد إلا بالفرنسية، وأن دعاتها من الجزائريين والمغاربة هم مجرد تلامذة أساتذة الاستعمار الفرنسي ومنظريه، بمباركة الحركة الصهيونية العالمية، والإمبريالية الدولية طبعا. وأن إيديولوجيتها (إن قلنا ذلك تجاوزا) هي «الأكاديمية البربرية» بفرنسا، التي تسيرها عناصر كان بعضهم أعضاء في منظمة الجيش الفرنسي الاستعمارية الإرهابية (OAS).

التشابه بين حياة البربر والعرب:

لم يوجد مؤرخ أوجز التشابه بين البربر والعرب في حياتهم مثل ابن خلدون. فبيوتهم (أي البربر) إما من الطين أو من القصب أو من الشجر والشعر والوبر، وينتقلون في البراري طلبا للرعي.. ويربون الشاة والبقرة. أما الخيل فيربونها للركوب والتناسل، كما يربي الرحل منهم الإبل. الضعاف منهم وهي الطبقات الدنيا فيهم يفلحون ويربون الدواجن. أما الأقوياء والطبقات العليا فيعيشون على الرعي وعلى السطو وقطع الطرق، أما فرشهم وأثاثهم فمن الصوف.. هذه الحياة التي يرسمها لنا ابن خلدون هي نفسها حياة العرب. ولقد تنقلت بين قبائل عربية عدة بالمشرق كقبائل شمر والحديديين والموالي والهيب، وعنيزة، وغيرها، ووجدت أن حياة هذه القبائل هي نفسها حياة قبيلتي بالجزائر وهي قبيلة النمامشة ذات الأصل البربري، وهاكم نص ابن خلدون:

«يتخذون البيوت من الحجارة والطين، ومن الخَوصْ والشجر، ومن الأشعار والوبَرْ. ويظعن أل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما قرب منالرحلة ولا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفر الأملس، ومكاسبهم الشاء والبقر، والخيل في الغالب للركوب والنتاج، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم، شأن العرب؛ ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة، ومعاش المعتزين من أهل الانتجاع والأضعان في نتاج الإبل وظلال الرماح، وقطع السابلة، ولباسهم أكثر أثاثهم من الصوف».

وإذا انتقلنا من ابن خلدون والمؤرخين العرب والمسلمين إلى المؤرخين الأوروبين النزهاء، وجدنا أن محرري مادة (بربر) في موسوعة "يونيفيرساليس Universalis" يقرون هذا التشابه بين مجتمع البربر ومجتمع ومجتمع العرب. وهي إحدى دوائر المعارف الأوروبية التي أنصفت الحقيقة في هذا المجال، كما سبق أن بيّنا. وإليكم النص منقولا عن الفرنسية.

«كان -ولمدة زمنية طويلة- من الأناقة معارضة العادات البربرية مع العربية بالمغرب وإبراز التناقض بينهما. بينما حقيقة التشابه بين الطرفين، تبدو أكثر وضوحا وأهمية: فالتنظيمات الاجتماعية المرتكزة على علاقات الدم، حقيقة كانت أووهما، وممارسة أعمال جماعية جبرية، واستعمال مخازن للحبوب مشتركة، توجد عمليا عند البربر كما توجد عند العرب. حتى ما يقال عنه من تقديس الأضرحة الذي يزعم أنها محصورة لدى البربر. نجدها عامة في جميع البلدان الإسلامية»[1].

لقد استعمل محررو هذه المادة في الموسوعة المذكورة عبارة "من الأناقة" وأنا أرى أن ذلك كان يتم بتوجيه مقصود من طرف الدوائر الاستعمارية، وخاصة قبل استقلال الجزائر كما بيّنا سابقا.

---

(1) Encyclopeadia universalis مجلد 3، ص 171.

الأصول العربية للبربرية:

من الغريب أن الباحثين الفرنسيين منظري الاستعمار، بذلوا جهودا مضنية لمحاولة اكتشاف علاقة ما -ولو كانت ضئيلة- بين اللغة البربرية من جهة وبين اللغات الأوروبية القديمة من جهة أخرى، لكن جهودهم باءت جميعها بالفشل الذريع. قارنوا البربرية بلغة الباسك، ولغة البرتون، وغيرها من اللغات الأروبية القديمة، فلم يجدوا بينهما أي تشابه يذكر. ولكن التشابه الوحيد الذي وجد هو بين اللغات الجونشية (وهي لغات السكان الأصليين لجزر الكناري)، وبين البربرية. وهذه الجزر هي امتداد طبيعي جغرافي وبشري لشواطئ الوطن العربي الغربية... وبعيدة كل البعد جغرافيا وبشريا عن شواطئ أوروبا. والمؤكد أن سكان الكناري هم جزء من سكان المغرب العربي. وهذا هو الذي يفسّر التشابه بين اللغة الكنارية القديمة وبين اللغة البربرية.

يقر الأستاذ العلامة "لانغر W. Langer" بأن اللغة العربية واللغة البربرية واللغات السامية تنحدر جميعا من أصل واحد، يقول:

«وتتصل اللغة المصرية القديمة باللغات السامية ولغات البربر بأصل واحد»[1].

ويقدر "باسيه A.Basset" الباحث اللغوي الفرنسي «بأن عدد اللهجات البربرية خمسة آلاف لهجة»[2].

ويقر محررو مادة بربر في موسوعة "يونيفيرساليس Universalis" «بأن جميع اللهجات البربرية مطبوعة بطابع اللغة العربية»[3].

ومحررو الموسوعة المذكورة يرون أن اللغة البربرية ذات أصل حامي - سامي فيقولون:

---

(1) موسوعة العالم، وليم لانغر، ج1، ص 45.

(2) موسوعة يونيفيرساليس، مجلد 3، ص 172.

(3) المرجع السابق، ص 171.

«أكثر طريق مؤكد إلى الحقيقة هو نسبة اللغة البربرية إلى أصول حامية - سامية التي تجمع في بوتقة واحدة البربرية، والمصرية القديمة، والكوشية والسامية»[1].

وتورد الموسوعة المذكورة:

«بأن روسلر المستشرق الألماني يذهب إلى الحد الذي يدخل فيه البربرية في اللغة السامية التي تعتبر العربية فرعا منها: «ونلاحظ في البربرية كما نلاحظ باللغات السامية وجود الحروف الحلقية والعبارات الجزلة»[2].

كما يقر محررو الموسوعة المذكورة - في معرض حديثهم عن آداب اللغات البربرية- «**بأن آداب البربرية الهزيلة الشفوية البحتة تتكون من أساطير عن الحيوانات، وقصص خرافية، وأغان تقليدية، أو مرتجلة، والواضح فيها كلها أنها مستمدة من المشرق العربي**»[3].

ومن المؤرخين اللغويين من يرد البربرية إلى أصول فينيقية مثل غوستاف لوبون الذي يقول:

«إن لغة البربر العريقة في القدم، يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية»[4].

ومن الغريب أنه إذا حللنا الأبجدية التي يستعملها الطوارق اكتشفنا الوجاهة في رأي لوبون هذا.. فالرأي السائد لدى الكثير من الباحثين أن الأبجدية التي يسميها الطوارق (التيفيناغ)، استعاروها من الأبجدية الفينيقية، ثم طرأ عليها مع الزمن الكثير من التبديل. ولقد قمت بتحليل -ساعدني عليه الأستاذ ربحي كمال، أستاذ اللغات القديمة في كلية آداب جامعة دمشق- فتوصلت إلى وجود تطابق بين كثير من حروف أبجدية الطارقية (التيفيناغ) من جهة، وبين حروف العديد من اللغات السامية من جهة ثانية، وإلى القراء الكرام هذه النتائج:

---

(1) المرجع السابق، ص 172.

(2) المرجع السابق، ج 17، ص 172 - 173.

(3) المرجع السابق، ص 170.

(4) حضارة العرب: غوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر - الطبعة الثانية. ص 301.

- الألف بالتيفيناغ، مثل الألف بالخط السرياني واليعقوبي والعربي والحميري (الخط العربي باليمن القديم).
- الجيم بالتيفيناغ يشبه حرف الجيم في الخط الفينيقي والآرامي.
- الدال بالتيفيناغ، يشبه الدال بالعربية.
- الزاي بالتيفيناغ، يشبه الخط المسند الحميري والآرامي.
- الياء بالتيفيناغ يشبه الفينيقي والآرامي والأنباري.
- النون بالتيفيناغ يشبه النبطي والسرياني والصفوي واللحياني (وكلها لغات سامية قديمة).
- السين بالتيفيناغ يشبه الفينيقي.
- القاف بالتيفيناغ يشبه الآرامي القديم والفينيقي والنبطي والسرياني والثمودي واللحياني (وكلها لغات سامية قديمة).
- الشين بالتيفيناغ يشبه المصري القديم والفينيقي والحميري والآرامي القديم والصفوي والثمودي واللحياني والحميري والحبشي والعربي والكنعاني والعبري.
- التاء بالتيفيناغ يشبه الفينيقي والحميري والآرامي القديم والصفوي والثمودي واللحياني.
- الطاء بالتيفيناغ يشبه الصفوي والثمودي.

حروف التيفيناغ: الحروف البربرية المستعملة لدى الطوارق[1]

الحرف العربي	الحرف البربري	التفسير
أ	ⵉ	يشبه السرياني واليعقوبي والحميري
ب	B	يشبه اليوناني القديم
ج	ⵛ	يشبه الفارسي القديم والفينيقي والآرامي
د	ⵔ	يشبه العربي إلى حد ما
ز	I	يشبه المسند الحميري والآرامي واليوناني القديم إلى حد ما
ي	Z	يشبه الفينيقي والآرامي واليوناني القديم والأنباري والكندي والنبطي
ك	ⵅ	يشبه النبطي إلى حد ما
ل	ⵍ	يشبه الحميري أو الأنباري
م	ⵎ	يشبه المسند الحميري
ن	ⵏ	يشبه النبطي والسرياني والصفوي واللحياني
س	3	يشبه اليوناني القديم والفينيقي
ق	ⵇ	يشبه الآرامي القديم والفينيقي والنبطي والسرياني والثمودي واللحياني
ش	ⵡ	يشبه المصري القديم والفينيقي والحميري والآرامي القديم والصفوي والثمودي واللحياني والحبشي والكنعاني
ت	ⵜ	يشبه الفينيقي والحميري والآرامي القديم والصفوي والثمودي واللحياني.
ط	H	يشبه الصفوي والثمودي.

(1) أعد هذا الجدول الدكتور ربحي كمال، أستاذ اللغات القديمة في جامعة دمشق، وذلك عام 1976، ويلاحظ أن بعض عشائر الطوارق تستعمل هذه الحروف بطرق مغايرة

إذن فأكثر من نصف حروف أبجدية "التيفيناغ" التي يستعملها الطوارق متطابقة مع حروف أبجديات اللغات السامية القديمة. وكما يلاحظ القارئ فإن هذا التطابق جاء في معظم الحالات مع عدة لغات سامية قديمة.

ومما يؤكد الرأي القائل بأن أبجدية (التيفيناغ) مستمدة من الأبجدية الفينيقية ما يراه العلامة الدكتور رشيد الناضوري أستاذ التاريخ القديم في جامعة الاسكندرية. فهو يقول في كتابه (المغرب الكبير) ما يلي:

«فقد بدأ البربر في تسجيل لهجاتهم في القرن الثاني قبل الميلاد، متأثرين باللغة البونية الفينيقية الأصل، والتي نجح الفينيقيون في التوصل إلى اختراع خطها لأول مرة في حياة الإنسانية بصورة هجائية»[1].

يلاحظ أن الكنعانيين الذين هاجروا إلى المغرب العربي سبقوا الفينيقيين في اكتشاف الكتابة.

بل إن الأستاذ (بات Oric Bates) الباحث اللغوي الانكليزي.. يفرد فصلا كاملا في كتابه عن التشابه بين حروف (التيفيناغ) -أبجدية الطرقية- وبين الأبجدية الفينيقية ويتوصل إلى أن أصل أبجدية الطوارق فينيقي، كما يدخل الأبجديتين في إطار واحد، وهو إطار (الحرف المسماري)، الذي تنحدر منه الأبجدية العربية والكتابة السامية القديمة[2].

وهذا المستشرق الألماني المشهور (روسلر O. Rossler) يثبت في أبحاثه بما لا يترك أي مجال للشك: «أن اللغة النوميدية لغة سامية، انفصلت عن اللغة السامية في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تبدو مختلفة عن باقي اللغة السامية». كما استطاع روسلر أيعتبر كثيرا من الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية في اللغة النوميدية القديمة، تغييرات حدثت بعد انفصالها عن الأصل القديم المشترك. وقد أوضح روسلر اشتقاق كثير من الكلمات النوميدية على أساس المقارنة باللغات السامية في المشرق»[3].

---

(1) المغرب الكبير، ج1، ص 225.

(2) Oric Bates: The easten libyans. London. First edition 1914 - New edition 1970.

(3) Dallet: Dictionnaire de la langue Kabyle, Paris 1982.

السمات المشتركة بين البربرية والعربية:

سبق أن عرضنا آراء اللغويين بما فيهم بعض الأروبيين، الذين رأوا أن جميع اللهجات البربرية، مطبوعة بالطابع العربي.

والحقيقة أن هذا الطابع العربي لم يشمل فقط المفردات اللغوية، وإنما شمل التركيب اللغوي، والقواعد النحوية والصرفية أيضا والاشتقاقية. وأعرض للقراء الكرام بعض ما توصلت إليه -بقليل من الجهد- من التشابه بين اللغتين البربرية والعربية.

تاء التأنيث:

تمتاز العربية من بين جميع لغات العالم -بتاء التأنيث تمييزا للمؤنث عن المذكر- لكن البربرية تستعمل الثاء بدل التاء، وهما حرفان لا متقاربان فقط وإنما ينوب كل واحد عن الآخر في كثير من اللهجات نفسها، مثال:

أمغار: العجوز - **أمغارث**: العجوزة.

كما أن البربرية تشترك مع العربية في جمع المؤنث السالم أيضا. مثال: الخلاث: النساء.

استعمال النون للربط:

تمتاز العربية باستعمال النون للربط بين وحدتين صرفيتين مثل نون الوقاية وتستعمل بالبربرية أيضا النون للربط مثل:

- **القش نتمطوث**: ملابس المرأة.
- **القش نوركاز**: ملابس الرجل.

الضمائر المتصلة:

تشترك البربرية مع العربية أيضا في الضمائر المتصلة أيضا. مثال:

- **الخلاث اطّسَنْ**: النساء نمن.
- **نَتْش اطّسغْ**: أنا نمت.

- **نتاثْ هطَّسْ**: هي نامت.

ومن الغريب أن البربرية تشترك مع العربية في عدم ذكر ضمير متصل مؤنث للفعل الماضي، وإنما تكتفي مثل العربية بعلامة التأنيث وهذه العلامة هي الهاء في أول الفعل. والهاء كالتاء أو من أسرة واحدة لها تستعمل للمؤنث.

المشتقات التي تبدأ بالميم:

ومن بين العناصر التي تشترك فيها البربرية مع العربية بعض المشتقات التي تبدأ بالميم مثل اسم المكان مثلا، مثال:

- **تامر دومث**: المكان الذي يعد فيه الفحم الخشبي.

والتاء هنا لتعريف المؤنث. وقد أشار إلى الكثير من هذه الصفات المشتركة في البنية اللغوية بين البربرية والعربية، العالم اللغوي الأمريكي (**غرينبرغ** Greenberg) في كتابه "لغات إفريقية"[1].

حروف أنيت وهمزة الوصل:

مما يؤكد أصالة اللغة البربرية في جذورها العربية اشتراكها مع العربية في استعمال حروف أنيت المعروفة بالعربية، وهمزة الوصل.

- **اخسا أيطس**: يريد أن ينام (الياء في أول الفعل).
- **يا اللّه انّطّس**: هيا ننام (النون بأول الفعل).
- **اخسا اتطس**: تريد أن تنام (التاء بأول الفعل).
- **اخسا أضطسغ**: أريد أن أنام (الهمزة بأول الفعل).

يلاحظ إضافة همزة الوصل بالبربرية حتى بالفعل. ويلاحظ أن البربرية مثل العربية يبدأ فيها فعل الأمر المسكن الحرف الأول الأصلي عنه بهمزة. مثال بالبربرية:

---

(1) J.H. Greenberg: Languages of Africa (Indiana university 1966), pp 42, 46, 48, 65.

- إكَر: قم - اطّس: نم بالعربية، أسو: إشرب، أما فعل الأمر المتحرك للحرف الأصلي فلا يبدأ بهمزة مثل: قيم: قم - روح: اذهب... إلخ.

المفردات اللغوية:

يكاد الباحث إذا تعمّق في التقصي يجد لكل كلمة بربرية أصلها في العربية. ومن الغريب أن هذه الأصالة العربية في المفردات البربرية، ليست متأتية فقط على أساس النقل، نتيجة للاحتكاك مع العربية، مثل ما هو بالفارسية أو التركية أو الأردية مثلا، وإنما جاءت هذه الأصالة أمرا فريدا من نوعه. ألاحظ أن الكلمات العربية التي يضمها قاموس اللغة الفارسية بنسبة تفوق النصف - دخلت هذا القاموس عن طريق النقل المباشر، أما بالنسبة للكلمات البربرية ذات الأصل العربي، فهي وجدت لا بالنقل وإنما بالاستعمال الأصيل، أي أن هذه الكلمات وجدت بالبربرية منذ وجدت البربرية بالوجود.

ويرى عالم اللغات السامية الأوروبي أولئاري، بأن انتشار اللغة السامية مع الهجرات، قد نجم عنه نشأة لهجات متعددة وفقا للأقاليم يقول:

«ويدلنا التاريخ على أن انتشار اللغات السامية مرتبط بهجرات الساميين المتتابعة من جزيرة العرب إلى بلاد ما بين النهرين، وأرض كنعان، وسورية، والحبشة، وشمال إفريقيا. أما تكوين اللغات واللهجات المختلفة فيرجع العامل المهم فيه إلى أن كلا من اللغات السامية خارج الجزيرة العربية، كانت تحت تأثير التداول بين خليط من السكان غير الساميين، مما أدى إلى حدوث تغييرات لفظية وتعديلات لغوية، فضلا عن إهمال القواعد النحوية، كل ذلك أدخل عدة إضافات على مفردات اللغة»[1].

وبعبارة أكثر وضوحا فإنني صرت متقينا أن اللغة البربرية ما هي إلا إحدى اللهجات العربية القديمة، التي تفرعت عن اللغة العربية الأم، التي يعتبر مهدها

(1) أوليئاري: قواعد المقارنة للغات السامية (نقلا عن كتاب الدكتور أحمد سوسة: الحضارة العربية ومراحل تطورها عبر العصور، ص 106.

الجزيرة، ثم إن القبائل التي تكلمت اللهجة (البربرية)، انتقلت جميعها بلغتها إلى شمال إفريقيا. ومما يؤكد ذلك وجود بعض القبائل بجنوب اليمن لازالت تتكلم لغة شبيهة بالبربرية حتى الآن.

إنني مقتنع أن البربرية ليست لغة سامية قديمة فقط، بل هي إحدى اللهجات العربية الضاربة في القدم، وسأضرب أمثلة على ذلك، مثال:

- **تامطوث**: المرأة. لا يتبادر لذهن أي ناطق لها أن لها علاقة بالعربية، لكن إذا تعمقنا في البحث وجدنا أن أصلها عربي ومعناها (الكائن الذي يحيض.. والطمث في العربية معناها: الحيض، أما عن سبق الميم للطاء في التسمية البربرية، فأمر يحدث في جميع اللغات. يقال: المرأة الطامث (بالعربية).

- **آركاز**: الرجل. وهي مثل أختها تامطوث، عربية ومعناها: ركز شيئا في شيء أقره وأثبته، والرجل هو ركيزة البيت.

- **آخنفوف**: الأنف. وهي عربية أيضا ومعناها: خَنَفَ يَخنِفُ خُنوفًا، أي شمخ بأنفه من الكبر أي التكبر. ومن الغريب أن كلمة (آخنوف) بالبربرية في استعمالها بمعنى الأنفة أقرب إلى العربية من كلمة الأنفة نفسها..

- **آمّورث**: الأرض البربرية، وهي عربية أيضا (والممرثة في العربية هي الأرض التي أصابها مطر خفيف).

هذه الأمثلة تدل على أن البربرية ما هي إلا إحدى اللهجات العربية القديمة جدا التي اندثرت من الجزيرة العربية. والتي بقيت حتى الآن مستعملة بشمال إفريقيا، نقلتها القبائل العربية القادمة -مثلما بينّا في هذه الدراسة- من المشرق العربي في هجرات تعود إلى آلاف السنين. أنا أرى أن تسمية أطلقت على المرأة بالعربية القديمة اعتمدت على أمر محسوس وهو الحيض، ثم تطورت فيما بعد إلى كلمة (المرأة) بل إن تسمية (تامطوث) أقرب إلى دقة التمييز من كلمة المرأة.

ولا يمكن لقائل أن يدعي أن هذه الكلمات الأربع استعارتها البربرية من العربية بالنقل، لأن البربر عرفوا المرأة وعرفوا الرجل وعرفوا الأنف وعرفوا الأرض قبل الهجرة الإسلامية.

أمر آخر أن البربر يستعملون الأنف في معاني الأنفة والعزة. ومثلما أوضحت، فإن تسمية آخنفوف التي يستعملها البربر -في معاني الأنفة-، أقرب إلى معاني الأنفة في العربية نفسها من كلمة "الأنفة".

أجزاء الخيمة:

أثبت المؤرخون أن البربر عرفوا الخيمة قبل الهجرة الإسلامية، ومن غير شك فقد أحضرها معهم أجدادهم المهاجرون للمغرب قبل الفتح الإسلامي بكثير، وتدل على ذلك أسماء الخيمة ذات الأصالة العربية، لا النقل من العربية (لنكن واضحين في هذا المجال).

وإذا استعرضنا مثلا أجزاء الخيمة وجدناها في معظمها عربية ذات أصالة لا تقل عن الكلمات العربية مثل:

- **أقنْطاس**: وهي الخشبة المتينة التي تدخل في ثقبيها الركيزتان اللتان تقام عليهما الخيمة الرئيسية. وهي مستمدة من كلمة عربية وهي: القنس: ومعناها بالعربية أعلى الرأس، والقناس أيضا رأس الخيمة.

- **إيجَادْ جَنْ**: الوتد بالبربرية وهي مستمدة من كلمة عربية أيضا وهي (الجُدْ جُدْ) ومعناها الأرض الصلبة أومن كلمة المجدح: وهي خشبة في رأسها خشبتان يساط بها الشراب، وقلب حرف الحاء جيما في الاستعمال البربري.

- **آخام**: معناها بالبربرية الخيمة.

أجزاء المحراث:

- **آمحراث**: المحراث.

- **إيكرَّز**: يحرث، وتبدو للوهلة الأولى غير عربية، والحقيقة أنها عربية بالأصالة لا بالنقل، وهي مستمدة من الفعل العربي كرز يكرز كُروزًا: أدخل واستخفى في غار أو حفرة، والحرث هو غرسالمحراث في الأرض.

- **إقَرْسَة**: سن المحراث المعدني الذي يشق الأرض. وهي عربية بالأصالة أيضا مستمدة من الكلمة العربية القِرْسُ: ومعناها الجامد من كل شيء، وسن المحراث من معدن الحديد الجامد الصلب.

ملابس المرأة:

- **المرفع**: قطعة من الفضة معقوفة تحمل القرطين أو الأقراط وتشبك في المناديل التي تلف الرأس وهي من رفع.

- **اخلالث**: الخلالة - وهي عربية لا تحتاج لشرح.

- **اسوريث**: القميص، نسبة إلى سورية مصدر القماش في العهود القديمة.

- **ايمَلْحِفَتْ**: من لحاف وهي عربية.

- **آزَلّوم**: معناها الحزام. وتبدو أيضا لأول وهلة غريبة عن العربية، والحقيقة أنها كلمة عربية بالأصالة لا بالنقل. ففي العربية: فعل زَلَّمَ الرَّحى إذا أدارها وأخذ من حروفها.

- **آخَلْخَالْ**: الخلخال.

- **الخَواثيمْ**: الخواتم.

- **الشّرْكْ**: العقد (من نصب له الشراك).

- **ادَمّاغَتْ**: قطعة من القماش الخشن توضع على الرأس لتحول دون تلوث المناديل بالزيت المغمس فيه الشعر، وهي من الدّماغ. عربية كما نرى.

- **العَقْصَتْ**: وهي عربية من العقاص.

حظيرة الأغنام:

إذا استعرضنا تسميات الأشياء لدى المربين للغنم البربر، وجدنا الكثير منها ذات أصل عربي بالأصالة لا بالنقل. (فأَولّي) معناها بالبربرية الغنم. وتبدو للوهلة الأولى بعيدة عن العربية، والحقيقة عكس ذلك، ونستطيع أن نسندها إلى أصلين عربيين:

- **إلى الولي**: وهو المطيع.. والشاة معروفة بطاعتها حتى يضرب المثل بها فيقال امرأة عاقلة هادئة ومطيعة كالشاة.

- **إلى**: مصدر آخر وهو يقال في العربية: توالى الغنم عن الماعز تميزت عنها.

- **هيخْسِي**: الشاة - وتوجد بالعربية كلمة الخِسِيُّ: وهو الخباء الذي يصنع من الصوف. وهذا تسمية الكل بالجزء.

- **إيْزمَر**: الخروف - ولها أصل بالعربية، يقال زَمرَ صوفُه إذا قل. والخروف قصير الصوف طبعا.

- **ايسَرْذَقْ**: الرِّبْقُ الذي يوضع حول رقبة الخروف. وأصل الكلمة العربي آت من: سردَقَ البيت جعل أعلاه وأسفله مشدودا كله. السُّرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب. ومعنى الكلمة بالبربرية هو الإحاطة برقبة الخروف.

- **آذْراسْ نُولّلي**: معناها بالعربية جمع الغنم وربطها بالحبال ورؤوسها مقيدة بعضها ببعض لحلبها. ولها أصل أصيل لا منقول من العربية يقال: درَّس البعير إذا راضه أو روّضه.

- **آغي**: الحليب: يتبادر للوهلة الأولى أنها بعيدة عن العربية، والحقيقة غير ذلك. يوجد بالعربية فعل يقال: غوِيَ الرضيع غَيًّا إذا أكثر من الرضاع.

ويتبين من هذه الكلمة أنها عربية بالأصالة وليست بالنقل. وهي في تصوري أكثر أصالة عربية من كلمة الحليب. لأنها أي آغي مرتبطة بوظيفة يقوم بها الطفل

الرضيع إزاء ثدي أمه. أما كلمة الحليب فهي مرتبطة بوظيفة سحب الحليب من ضرع الحيوان. ومن غير شك فإن الإنسان في عهوده الأولى تعرف على الحليب من ثدي المرأة قبل تعرفه عليه من ضرع الحيوان.

الطعام:

- **آغروم**: الخبز: باليمن الآن معناها: نوع من الخبز.
- **أمان**: الماء وهي واضحة.
- **اكسوم**: اللحم. ذات أصل في العربية أي الجسم وينطق حتى الآن في اللهجة السورية الجسم (كسم) بالكاف.
- **آلُوسي**: الزبدة. ولها أصل بالعربية بالأصالة لا بالنقل. اللُّواسةُ بالعربية معناها اللقمة وتستخرج الزبدة من اللبن المخيض على شكل لقمات.
- **نَتْشْ اللّوزغ**: أنا جعت: أصلها عربي آتية من اللَّوز: وهو المحتاج.

الملابس للرجل:

- **الكُركْ**: وهو قطعة من جلد البقر أو الجمل تخاط بالجلد من الأمام والخلف وتتخذ نعالا وخاصة زمن الثلج، ويمنع الانغراز والتزحلق. وأصلها عربي من كلمة الكرْكُ وهو رداء ذو فروة.
- **أَقْلَمُونْث**: معناها قلنسوة وهي عربية كما يبدو محرفة قليلا.
- **أقشابيث**: عباءة الرجل وهي ذات أصل عربي. يقال قشب الثوب قشابة كان جيدا نظيفا.

بعض الأفعال والكلمات المتفرقة:

- **يَطّسْ (نام)**: طَسَّ الشيءَ في الماء إذا غطسه. والنوم فيه معنى الغطس في اللّاوعي.
- **يوعادْ (يُعيد)**: وهي عربية واضحة.

- سوسَمْ (اسكت): وهي عربية محرفة قليلا.
- هَزَّطْ (تنسج): من تهز الشيء: تحركه.
- يَدْعَسْ (دخل): دعس القصاب الشاة: أدخل يده بين جلدها ولحمها.
- يُكّذْ (يخاف): أكْذَى الشيء: احمرّ لونه من خجل أو فزع.
- يقّيم (جلس): أقام يقيم.
- يَرْوَلْ (هرب): هَرْول.
- يَرّز (كسّر): رزّ فلانا: طعنه.
- يوسيد (جاء): أوسد في السير: أسرع.
- يلّف (طلّق): لفأت الريح التراب عن الأرض: فرقته.
- يَلْغَظْ (ساق الدابة): لغطوا أصواتا مبهمة.
- يَتَزّالْ (يجري): الزول: الخفيف الحركة.
- يكّرْ (قام): وَكَرَ الظبي: وثب.
- ييّناس (قال له): آنس الصوت: سمعه. آنس له: تسمّع.
- هيلٍّ (تبكى): انهل الدمع انسكب.
- يفَّرّنْ (ينقّي): فاررتْه: فتشت عن حاله وفتش عن حالها.
- يتّيرارْ (يلعب): التّرّ: الغلام الصغير.
- يدجلّايْ (يحلف): من جل جلاله. والحلف عادة يكون باللّه.
- يَسْغَى (اشترى): سوّغ الشيء جعله مباحا حلالا. تملّك الشيء.
- يتازّال (يجري): أزل: سار في مكان مجدب. أزَّ، يئزُّ: تحرك واضطرب.
- يَرّاضْ (لبس): راوضه: داراه وخاتله حتى يدخل فيه.
- يتّكَسْ (ينزع بخلع الملابس وغيرها). وكس الشيء: نقصه. وكس ماله: نقصه.
- هْذَلَّكْ (تَعْجَنُ): دلّك السنبل حتى انفرك قشره عن حبّه. ودلّك الشيء: دعكه وعزله.

- **يسنّاو (ينضج الخبز وغيره)**: أسنى النار: رفع سناها.

- **يسّافويْ (ينفخ)**: سفت الريح التراب وغيره: ذرته وحملته من مكانه.

- **يزّاط (يرحي)**: زاط: فعل جلبة.

- **يْكنّي (يرقع)**: كنّ: ستر.

- **يَسْوْ (يشرب)**: يحسو الرجل المرق: يشربه جرعة جرعة.

- **آمغار (العجوز)**: في الحديث النبوي الشريف: أن أعرابيا قدم على النبي ﷺ فرآه مع أصحابه. فقال أيكم ابن عبد المطلب. فقالوا: هو الأمغر المرتفق. أرادوا بالأمغر الأبيض الوجه (لسان العرب) والشيب بياض.

- **إيخف (الرأس)**: خفأ الشيء: ظهر. والرأس أبرز شيء في الإنسان.

- **الشِيفّر (الجفن)**: شفر الجفن: حرفه.

- **ايغمّاس (الأسنان)**: الغمّاسة: الطعنة النافذة في اللحم.

- **أضاضْ (الأصبع)**: الدض: الأصل.

- **ايشّر (الأظفر)**: الأَشَرة: عقدة في رأس ذنب الجرادة.

- **ايذَرْمان (الصدر)**: المذمّر: الكاهل والعنق وما حوله إلى الذّفرى وهو الصدر.

- **آحَبّوطت (الصرة)**: حبط الجلد: ورم.

- **آضار (القدم)**: الضّرّة من القدم ما يباشر الأرض عند الوطء من لحم باطنها مما يلي الإبهام. ومنها جاءت كلمة الضّرة. تقول المرأة أنت ضرتي: أي أنت أسفل قدمي.

- **أساكَلْ (الفخذ)**: من السُّقل: الخاصرة. وسقلت اليد أو الرجل مالت.

- **آفوذ (الركبة)**: الفود: الجانب. يقال نزلوا بين فودي الوادي.

- **آسرذون (البغل)**: البرذون: ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب. وهو غليظ الأعضاء.

- **الزِّمل (الحصان)**: الزّامل من الدواب الذي كأنه يضلع في سيره من نشاطه.
- **العُوذَة (الفرس الأنثى)**: العود: المسن من الإبل.
- **آغْيول (الحمار)**: الغيل (جمع غيول) من الغلمان: العظيم السمين.
- **ايكرزيز (الأرنب)**: كرز إذا استخفى في حفرة. من صفات الأرنب.
- **أفِيغَرْ (الثعبان)**: فغرفاه فتحه. افعوان.
- **أعجمي (العجل)**: العجماء: البهيمة.
- **ايزمر (الخروف)**: زمر إذا قصر صوفه.
- **آلْغَمْ (الجمل)**: اللُّغام: زبد أفواه الإبل.
- **أوشّن (الذئب)**: انشنّ الذئب في الغنم عاث فيها قتلًا.
- **إيغيد (الجدي)**: الغيدان من الشباب أوله.
- **آر (الأسد)**: الهرّ: الأسد يسمع صوت جريه إذا جرى.
- **أمثنه (المطر)**: مثّ السّقاء: رشح.
- **أقربوش (هيكل السرج)**: القربوس: حنو السرج.
- **أقلزيم (الفأس)**: قلز الجراد قلزا: رزّ ذنبه في الأرض.
- **أبورْغَسْ (الجرادة)**: البرغش: حشرة.
- **أولْمانْ (الخيوط الأفقية للمنسج)**: الولم: حزام الرِجْل، وحزام السرج.
- **لقّ (الآن) ها الوقت**: هلّق معناها الآن في اللهجة السورية.
- **أبوظ (قاع الشيء)**: البوظ: البوتقة: الوعاء الذي يذاب فيه المعدن.
- **آكسوم (اللحم)**: الكسم.
- **يعرّم (كثيرا)**: العرام من الجيش: كثرته.
- **آزكرار (طويل)**: زكر الإناء: ملأه.

- **يورَزْمير (مريض)**: استزمر: تقبض وتضاءل.

- **اكّس (انزع)**: وكّس فلانا: وبخه. وكس الشيء: نقص.

- **آبريذ (الطريق)**: البريد: المسافة بين كل منزلتين من منازل الطريق.

- آزمالت (العمامة): منحدرة من زمله، أي لفه بلحاف.

- النازيث (الهضبة القليلة الارتفاع): يقال أكمة نازية أي مرتفعة عما حولها.

- **أمقران (الكبير)**: يقال أقرن فلان إذا جاء بأسيرين من شدة قوته وبأسه. والناقة القرون هي الناقة القوية التي تملأ إناءين في حلبة واحدة. ومَقْرن بالجزيرة العربية اسم للرجل.

- **أفالوا (الخيط)**: الفائل: عرق في الفخذ.

لقد تعمدت أن أسوق الكلمات التي لا يمكن أن يقال أنها حديثة عرفها البربر بعد دخول العرب مع الفتح الإسلامي بعد التطور الحضاري الذي حدث في القرون الوسطى مع انتشار الحضارة الإسلامية، فالكلمات التي سقتها عرف البربر مسمياتها قبل الفتح الإسلامي، أما الكلمات الأخرى التي يمكن أن يقال عنها حديثة فقد عرفها البربر مع التطور الحضاري على يد العرب المسلمين، وهي عربية بوضوح وبالنقل. بل إن كثيرا من العبارات ينطقها البربر بكلمات عربية كاملة مثل الجملة التعجبية: (آبابا حنيني ما أكبر إيخفنس) وهي مفهومة للقارئ العربي، ماعدا كلمة إيخف، أي الرأس بالبربرية وهي عربية أيضا كما بيّنا، وقد استعمل فعل التفضيل (ما أكبر)، رغم أن الكلمة التي تدل على الكبير في البربرية هي (أمقران). وكلمة أمقران نفسها من أصل عربي.

لقد استعرضت آخر قاموس قبائلي صدر بالجزائر سنة 1995، فوجدت جل كلماته عربية من هذا النوع، أي بالأصالة لا بالنقل. فحرف العين مثلا في

هذا القاموس ضم 130 كلمة، 115 منها عربية، والأخرى بين كلمات من الدارجة الجزائرية، وكلمات مأخوذة عن اللغة الفرنسية[1].

ويقول الأستاذ مختار السوسي عن لهجة الشلحة بالمغرب: «إن أول ما يبادر للباحث في الشلحية عندما يقابلها بالعربية أشياء، منها:

أنه يجد مخارج الحروف متساوية في اللغتين، حتى حرف الضاد فإنه ينطبق به عند الشلحيين، كما ينطق به عند العرب سواء بسواء»[2].

(1) منجد اللغة الأمازيغية: لعز الدين تاقمونت، الجزائر (وحدة الرغاية) 1995.

(2) محمد المختار العرباوي: البربر عرب قدامى، ص 168 - الرباط 1993.